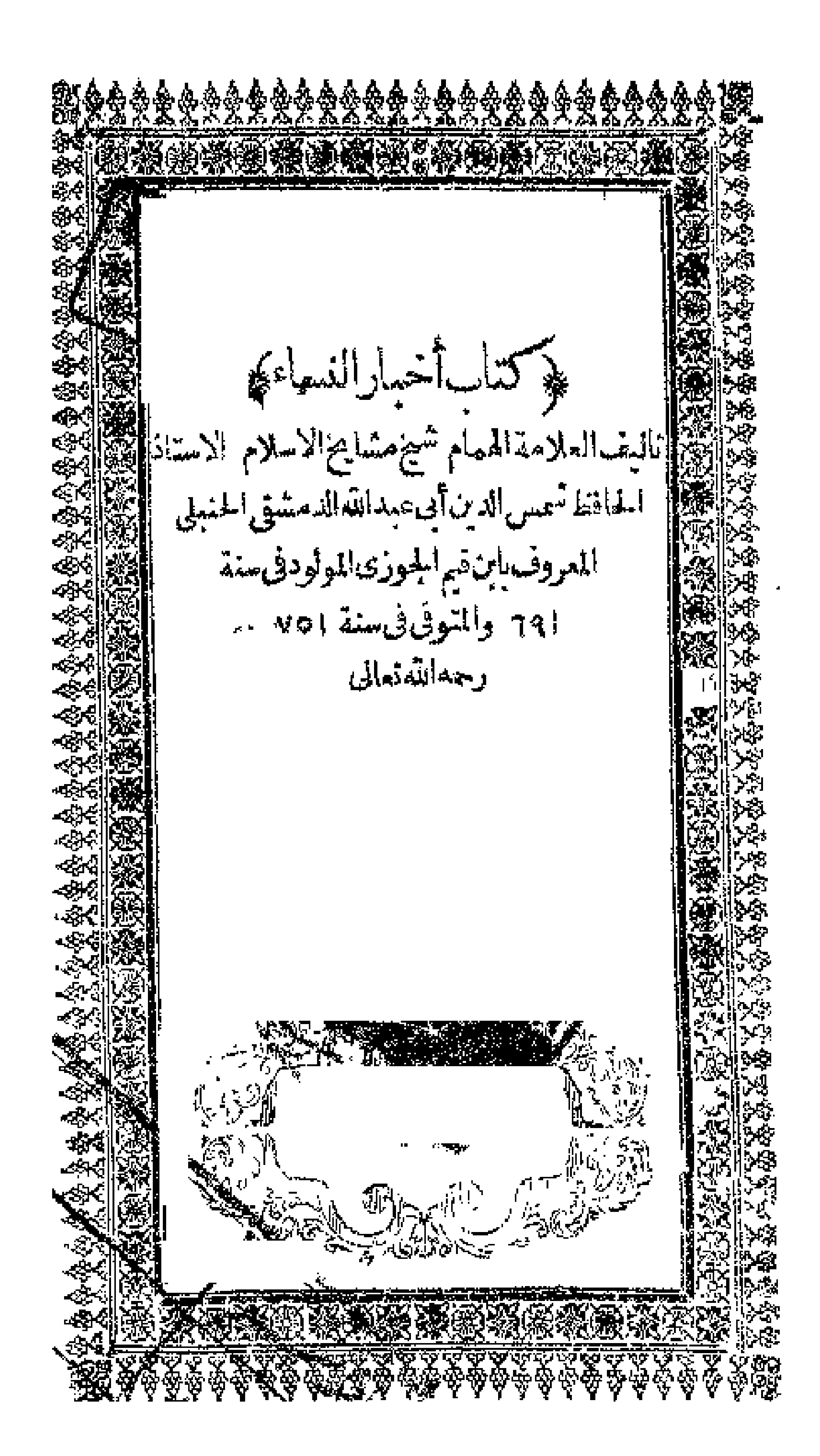


كتاب أخبار النساء

تأليف العلامة الإمام شيخ مشايخ الإسلام الأستاذ الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزي المولود في سنة ٦٩١ والمتوفى في سنة ٧٥١ هـ

رحمه الله تعالى



marefa.org

موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع المحتوى العربي والإضافة إليه، لإنشاء موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من مصادر مرخِصة بالنقل. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,587 مقال و 2,409,583 صفحة مخطوط فيها.

خلافاً للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. **ادع أصدقاءك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم.**

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام الأبجدية العربية، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر حيدر أباد وتنبكتو وزنجبار وسمرقند ملآى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات الضوئية والإنترنت بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات الممسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات باللغة العربية التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة بروكلمان لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات بالفارسية والتركية (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشترٍ وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في الصين وتنبكتو (مالي).

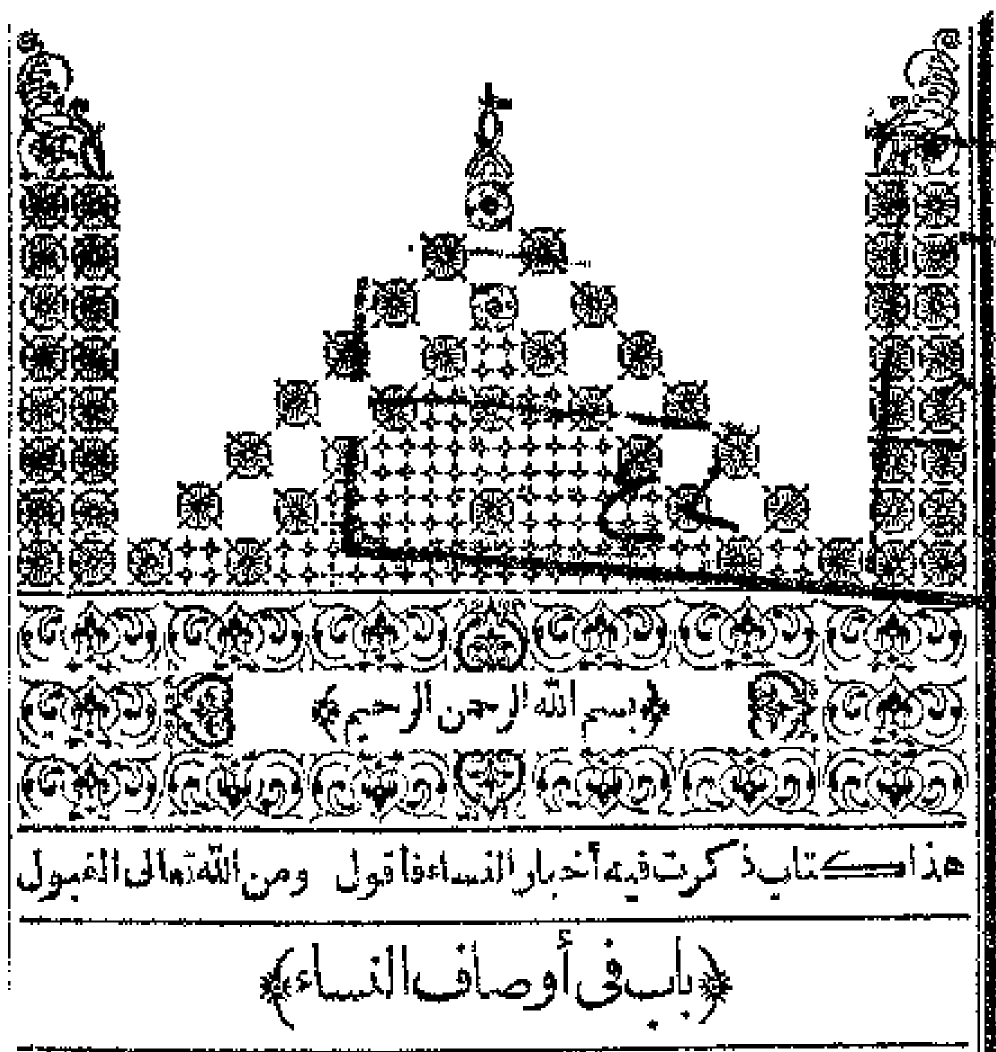
هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. إذا كنت تريد أن نعجل بنشر أي منها فأخبرنا بالضغط هنا.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات, أي تحويل الصورة إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع معرفة المخطوطات الذي يضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً ندعو القراء للمشاركة فيه (بالتسجيل هنا).
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع گوتنبرگ Gutenberg Project لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة **لمشروع گوتنبرگ** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكرت فيه أخبار النساء فأقول ومن الله تعالى القبول

باب في أوصاف النساء

قال معاوية لصعصعة أي النساء أحب اليك قال المواتية لك فيما تهوى قال فأيهن أبغض اليك قال أبعدهن لما ترضى قال معاوية هذا النقد العاجل فقال صعصعة بالميزان العادل (وقال معاوية) ما رأيت نهما في النساء الا عرف ذلك في وجهها (شكت) امرأة الى زوجها قلة اتيانه اليها فقال لها أنا وأنت على قضاء عمر قالت ما قضى عمر قال قضى عمر أن الرجل اذا أتى امرأته في كل طهر فقد أدى حقها (وقع) بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع فقالت له أبعدك الله كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا أطيق رده جاء رجل الى علي رضي الله عنه فقال له ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها وعلي اثمها (غزا) ابن هبيرة الغساني الحرث بن عمرو فلم يصبه في منزله فأخرج ما وجد له واستاق

امرأته

امرأته فاصابها في الطريق وكانت من اجمل الخلق في نهاية فاعجبت به فقالت
له ابغ فوالله لكأني به يتبعك كأنه بعير أكل مرارا فبلغ الشعر [illegible]
فاقبل يتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته فقال لها
هل أصابك فقالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط فلطمها ثم أمر
بها فربطت بين فرسين ثم أحضرهما حتى تقطعت ثم أنشد

كل أنثى وان بدا لك منها * آية الود حبها خيتعور
ان من غره النساء بود * بعد هذا لجاهل مغرور

قال بعض الحكماء لم تنه قط امرأة عن شيء الا فعلته للغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

(غيره)

لا تأمن الانثى حبتك بودها * ان النساء ودادهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها * وغدا لغيرك كفها والمعصم

(سئل) أعرابي عن النساء وكان ذا هم بهن فقال أفضل النساء أطولهن اذا قامت وأعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ أجودت التي تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة في قومها الذليلة في نفسها الودود الولود التي كل أمرها محمود (طلق) رجل امرأته فقالت له أبعد صحبة خمسين سنة قال مالك عندنا ذنب غيره (قال عبد الملك بن مروان) من أراد أن يتخذ جارية للتمتع فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية (قال الاصمعي) بنات العم أصبر والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الابطال كابن عجمية (ذكر) ان معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق وكان المجلس مفتح الجوانب لدخول النسيم فبينما هو على فراشه وأهل مملكته به اذ نظر الى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلا حافيا واليوم شديد الحر فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه لم يخلق الله من

احتاج الى نفسه فى مثل هذا اليوم ثم قال ياغلام سر اليه واكشف عن حاله وقصته فوالله لئن كان فقيرا لأغنينه ولئن كان شاكيا لانصفنه ولئن كان مظلوما لأنصرنه ولئن كان غنيا لافقرنه فخرج اليه الرسول متلقيا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له ممن الرجل قال سيدى أنا رجل اعرابى من بنى عذرة أقبلت الى أمير المؤمنين مشتكيا اليه بظلامة نزلت بى من بعض عماله فقال له الرسول أصبت يا اعرابى ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول

معاوى ياذا العلم والحلم والفضل * وياذا الندى والجود والنائل الجزل
أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى * فياغيث لا تقطع رجائى من العدل
وجد لى بانصاف من الجائر الذى * شوانى شيا كان أيسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى * وجار ولم يعدل وأغصبنى أهلى
قصدت لارجو نفعه فأثابنى * بسجن وأنواع العذاب مع الكبل
وهم بقتلى غير ان منيتى * تأبت ولم أستكمل الرزق من أجلى
أغثنى جزاك الله عنى جنة * فقد طار من وجد بسعدى لها عقلى

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا اعرابى انى أراك تشتكى عاملا من عمالنا ولم تسمه لنا قال أصلح الله أمير المؤمنين هو والله ابن عمك مروان ابن الحكم عامل المدينة قال معاوية وما قصتك معه يا اعرابى قال أصلح الله الامير كانت لى بنت عم خطبتها الى أبيها فزوجنى منها وكنت كلفا بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة فبقيت معها يا أمير المؤمنين فى أصلح حال وأنعم بال مسرورا زمانا قرير العين وكانت لى صرمة من ابل وشويهات فكنت أعولها ونفسى بها فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله فبقيت لا أملك شيأ وصرت مهينا مفكرا قد ذهب عقلى وساءت حالى وصرت ثقلا على وجه الارض فلما بلغ ذلك أباها حال بينى وبينها وأنكرنى وجحدنى وطردنى ودفعها عنى فلم أقدر لنفسى بحيلة ولا نصرة فأتيت الى عاملك مروان بن

الحكم

الحكم مشتكيا بعمي فبعث اليه فلما وقف بين يديه قال له مروان يا أيها الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته قال أصلح الله الامير ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط قلت أنا أصلح الله الامير أنا راض بالجارية فان رأى الامير ان يبعث اليها ويسمع منها ما تقول فبعث اليها فأتت الجارية مسرعة فلما وقفت بين يديه ونظر اليها والى حسنها وقعت منه موقع الاعجاب والاستحسان فصار لي يا أمير المؤمنين خصما وانتهرني وأمر بي الى السجن فبقيت كأني خررت من السماء في مكان سحيق ثم قال لأبيها يا سعدى هل لك ان تزوجها مني وأنقدك ألف دينار وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها وأنا أضمن طلاقها قال له أبوها ان أنت فعلت ذلك زوجتها منك فلما كان من الغد بعث الي فلما ادخلت عليه نظر الي كالاسد الغضبان فقال لي يا اعرابي طلق سعدى قلت لا أفعل فأمر بضربي ثم ردني الى السجن فلما كان في اليوم الثاني قال علي بالاعرابي فلما وقفت بين يديه قال طلق سعدى فقلت لا أفعل فسلط علي يا أمير المؤمنين خدامه فضربوني ضربا لا يقدر أحد على وصفه ثم أمر بي الى السجن فلما كان في اليوم الثالث قال علي بالاعرابي فلما وقفت بين يديه قال علي بالسيف والنطع وأحضر السياف ثم قال يا اعرابي وجلالة ربي وكرامة والدي لئن لم تطلق سعدى لافرقن بين جسدك وموضع لسانك فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة ثم أمر بي الى السجن فحبسني فيه حتى تمت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم أطلقني فأتيتك مستغيثا قد رجوت عدلك وانصافك فارحمني يا أمير المؤمنين فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الارق وأذابني القلق وبقيت من حبها بلا عقل ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض ثم أنشأ يقول

في القلب مني نار * والنار فيه الدمار
والجسم مني سقيم * فيه الطبيب يحار

والعين تهطل دمعا * فدمعها مدرار

جلت منه عظيما * فما لديه اصطبار

فليس ليلي ليل * ولا نهاري نهار

فارحم كئيبا حزينا * فؤاده مستطار

اردد علي سعادي * يشملك الجبار

ثم خر مغشيا عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال وكان في ذلك الوقت معاوية متكئا فلما نظر اليه قد خر بين يديه قام ثم جلس وقال انا لله وانا اليه راجعون اعتدى والله مروان بن الحكم ضرارا في حدود الدين واجترارا في حرم المسلمين ثم قال والله يا اعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله ثم قال يا غلام علي بدواة وقرطاس فكتب الى مروان أما بعد فانه بلغني عنك انك اعتديت على رعيتك في بعض حدود الدين وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين وانما ينبغي لمن كان واليا على كورة أو اقليم ان يغض بصره وشهواته ويزجر نفسه عن لذاته وانما الوالي كالراعي لغنمه فاذا رفق بها بقيت معه واذا كان لها ذئبا فني صوطها بعده ثم كتب بهذه الابيات

وليت ويحك أمرا لست تحكمه * فاستغفر الله من فعل امرئ زاني

قد كنت عندي ذا عقل وذا أدب * مع القراطيس تمثالا وفرقان

حتى أتانا الفتى العذري منتحبا * يشكو اليّ البث ثم أحزان

أعطي الاله يمينا لا أكفرها * حقا وأبرأ من ديني ودياني

ان أنت خالفتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وعجلها مجهزة * مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

فما سمعت كما بلغت في بشر * ولا كفعالك حقا فعل انسان

فاختر لنفسك اما أن تجود بها * أو ان تلاقي المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب وقال علي بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد فلما وقفا بين يديه قال اخرجا بهذا الكتاب الى مروان بن الحكم ولا تضعاه

الا

الابيه قال فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه فسلما ثم ناولاه الكتاب فجعل مروان يقرأه ويردده ثم قام ودخل على سعدى وهو باك فلما نظرت اليه قالت له سعدى ما الذى يبكيك قال كتاب أمير المؤمنين ورد على فى أمرك يأمرنى فيه ان أطلقك وأجهزك وأبعث بك اليه وكنت أود أن يتركنى معك حولين ثم يقتلنى فكان ذلك أحب الى فطلقها وجهزها ثم كتب الى معاوية بهذه الابيات

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد * أوفى بنذرك فى رفق واحسان

وما ركبت حراما حين أعجبنى * فكيف أدعى باسم الخائن الزانى

اعذر فانك لو أبصرتها لجرت * منك الاماق على أمثال انسان

فسوف يأتيك شمس لا يعادلها * عند الخليفة انس لا ولا جان

لولا الخليفة ما طلقتها أبدا * حتى أضمن فى لحد وأكفان

على سعاد سلام من فتى قلق * قد خلفته بأوصاب وأحزان

ثم دفعه اليهما ودفع الجارية على الصفة التى حدثت له فلما وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال والله لقد أحسن فى هذه الابيات ولقد أساء الى نفسه ثم أمر بالجارية فأدخلت اليه فاذا بجارية رعبوبة لا تبقى لناظرها عقلا من حسنها وكمالها فعجب معاوية من حسنها ثم تحول الى جلسائه وقال والله ان هذه الجارية لكاملة الخلق فان كملت لها النعمة مع حسن الصفة لقد كملت النعمة لمالكها فاستنطقها فاذا هى أفصح لسان العرب ثم قال على بالاعرابى فلما وقف بين يديه قال له معاوية هل لك عنها من سلو وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية منهن ألف درهم على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج والحرير والكتان وأجرى عليك وعليهن ما يجرى على المسلمين وأجعل لك ولهن حظا من الصلات والنفقات فلما تم معاوية كلامه غشى على الاعرابى وشهق شهقة ظن معاوية انه قد مات منها فلما أفاق قال له معاوية ما بالك يا اعرابى قال شر بال وأسوأ حال أعوذ بعدلك يا أمير

المؤمنين من جور مروان ثم أنشأ يقول

لا تجعلني هداك الله من ملك * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في قبري وأحجاري
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار
أطلق وثاقي ولا تبخل علي بها * فان فعلت فاني غير كفار
فاجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم * لا فعل غيرك فعل اللؤم والعار

ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول

أبى القلب الا حب ليلى وبغضت * الي نساء ما لهن ذنوب
وما هي الا ان أراها فجاءة * فابهت حتى لا أكاد أجيب

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا اعرابي قال نعم يا أمير المؤمنين قال انك مقر عندنا انك قد طلقتها وقد بانت منك ومن مروان ولكن نخيرها بيننا قال ذاك اليك يا أمير المؤمنين فتحول معاوية نحوها ثم قال لها يا سعدى أينا أحب اليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره أو مروان في غصبه واعتدائه أو هذا الاعرابي في جوعه وأطماره فاشارت الجارية نحو ابن عمها الاعرابي ثم أنشأت تقول

هذا وان كان في جوع وأطمار * أعز عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله * وكل ذي درهم منهم ودينار

ثم قالت لست والله يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته ولقد كانت لي معه صحبة جميلة وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء وعلى الشدة والرخاء وعلى العافية والبلاء وعلى القسم الذي كتب الله لي معه فتعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت المسلمين (قال أبو

الخطاب)

الطلاب) كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته وصار آدر فدخل عليه جيرته يهنئونه فقال الذي جاء شر من الذي مر ﴿وذكر﴾ اعرابي رجلا جميلا فقال والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها ولو رأته عاتق الخدر لطار خمارها وقال بعض الاعراب

ماذا تظن سليمى ان ألم بنا * مرجل الرأس ذو بردين مزاح
شرعمامته حلو فكاهته * في كفه من رقا ابليس مفتاح

﴿وروى﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من كلب فبعث عائشة رضي الله عنها تنظر اليها فقال لها كيف رأيتها قالت ما رأيت طائلا قال لقد رأيت طائلا ولقد رأيت خالا بخدها اقشعرت كل شعرة فيك فقالت ما دونك ستر يا رسول الله ﴿وروى﴾ عن حيان بن عمير انه قال دخلت على قتادة بن ملحان فمر رجل في أقصى الدار فرأيت صورته في وجه قتادة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه ﴿وعن عون ابن عبد الله﴾ أنه قال من كان في صورة حسنة ونسب وحسب ووسع عليه في الرزق كان من خلصاء الله ﴿وروى﴾ عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا في القراءة سواء فاصبحهم وجها (وعن ابن عباس) انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث الكلح قال حاملان الغني دخلت دار هرون الرشيد فاذا أنا بجارية خماسية أحسن الناس وجها على يدها سطران مكتوبان بالغالية فقرأتهما فاذا هما اعمل في طران الله فتنة لعباد الله ﴿وقال بعضهم﴾ سمعت يحيى ابن سفيان يقول رأيت بمصر جارية بيعت بالف دينار فما رأيت وجها قط أحسن من وجهها صلى الله عليها قال فقلت له يا أبا زكريا مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك فقال وما تنكره علي من ذلك صلى الله عليها وعلى كل مليح يا ابن أخي الصلاة رحمة (قال) خرج شامة بن لؤي بن غالب من مكة حتى نزل بعمان على رجل من الاسد وكان شامة بن لؤي من أجمل

خلق الله فقراه وبات عنده فلما أصبح قعد يستن فنظرت اليه زوجة
الاسدي فاعجبها فلما رمى مضت الى سواكه فاخذته فاقمتها فنظر اليها
زوجها فحلب ناقة وجعل في اللبن سما وقدمه الى شامة فغمزته المرأة
فاراق اللبن وخرج يسير فبينما هو في موضع يقال له خرق الجلية أهوت
ناقته في عرفجة فانتشلتها وفيها أفعى فنهشت مشفرها فحكتها على ساق
شامة فمات فقالت الازد

اذا ناقتي حلت بليل ففارقت * بجيلة لما انبت منها قرينها
فقلت لها حثي قليلا فانني * واياك نخفي عبرة ستزينها
غدرت بنا بعد الصفاء وخنتنا * وشر مصافي خلة من يخونها

(قال سليمان بن أبي سمح) تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد فلما نقلها
اليه قالت له ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا فقال لها الصبا ما رأيتها
ههنا فقال يحجزها عنا هذان الجبلان فانشأت تقول

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست * على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو يشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها

(قال الزبير) حدثني أبي قال كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له
امرأة تحبه ويحبها وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق وكل ذلك يحتمله
لشدة محبته اياها فلما ساءت حاله وكثر دينه قال

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكى الفقر أو لام الصديق فاكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت * قلوب ذوي القربى له ان تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا
وما طالب الحاجات من حيث يبتغي * من الناس الا من أجد وشمرا

فلما أصبح قال لامرأته أنا والله أحبك ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق
العيش فجهزيني فجهزته فخرج حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان رضي

الله عنه فقام بين الصفين فاخبره بحاله وأنشده الشعر فرق له وأمر له بالف دينار وقال له قد دلني حالك على محبتك لاهلك وكراهيتك لفراقهم فخذوا انصرف اليهم فاخذها وانصرف راجعا (وأنشد) الزبير بن بكار لجميل بن معمر

من كان في حب الحبيب حبيبه * حدود لقد حلت على حدود
ألا أيها الغيران بي ان أحبها * بسخطك يغني حبها ويزيد
فلو مت كان الموت يخلف الهوى * فاني فؤادي وجده وهو جديد
وتحسب نسوان اذا جئت زائرا * بثينة اني بعضهن أريد
فتخبركم عنا جنوب مضلة * وتخبرنا عنكم العشي برود
اذا بلغتكم حاجة رجعت لنا * اليكم باخرى مثلها فيعود

وأنشد أيضا لجميل بن معمر العذري

تمتعت منكم يا بثين بنظرة * على عجل والناعجات وقوف
فيا حسد أم الوليد ومربع * لنا ولها بالمغني ومصيف
بثنتان يستر الوشاح عليهما * وبطن كطي السابري لطيف

وأنشد له في مثل ذلك أيضا

بثينة قالت يا جميل وسودت * مجال القذى منها بثينة بالكحل
أتصرم حبلي يا جميل وقادني * اليك الهوى قود الجنيبة بالحبل
وقالت لقينا ما لقيت من الهوى * فامس رأسي من دهان ولا غسل

(قال علي بن المغيرة) كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لابيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تخلل بكرة فقال لها أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء لقد جشعت ونهمت وان كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت فقالت قبح الله الذواق المطلاق ولا يبعد الله غيرك والله ما هو الذي ظننت ولكنه استمسك بين اسناني شظية من السواك وكان سبب قول النميري فيها ان أباها يوسف بن الحكم مرض فكان يزيد بن معاوية قد ولاه صدقات الطائف وأرض الشراه فنذرت ان الله عافاه ان تمشي

الى الكعبة معتمرة من الطائف وبين الطائف ومكة يومان وابلتسان فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوما وكانت جميلة وسيمة فلقيها النميري وهو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ببطن نعمان فقال

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب في نسوة عطرات
تهادين ما بين المحصب من منى * وأقبلن لا شعثا ولا غبرات
مررن بفخ رائحات عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات
لها أرج بالعنبر الورد فاغم * تطلع رياه من الفسترات
يخبين أطراف البنان من التقى * ويمشين شطر الليل معتجرات
وليست كأنثى أوسعت جنب درعها * وأبدت بنان الكف للجمرات
ومالت ترا آى من بعيد فقتنت * بروئيتها من راح من عرفات
تقسمن لبي يوم نعمان انني * بليت بطرف قاتل اللحظات
يظاهرن أستارا ودورا كثيرة * ويقطعن دون الدور بالحجرات
ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من ان تلقينه حذرات
دعت نسوة شم العرانين كالدما * أوانس ملء العين كالظبيات
فأبدين لما قمن يحجبن زينبا * بطونا لطاف الطي مضطمرات
فقلت بعافير الظباء تناولت * نياع غصون الورد مهتصرات
فلم ترعيني مثل ركب رأيته * خرجن من التنعيم معتمرات
وكدت اشتياقا نحوها وصبابة * تقطع نفسي اثرها حسرات
وغادرت من وجدي بزينب غمرة * من الحب ان الحب ذو غمرات
وظل صحابي يظهرون ملامتي * على لوعة الاشواق والزفرات
فراجعت نفسي والحفيظة انما * بلت رداء العصب بالعبرات
وقد كان في عصياني النفس زاجر * لذي عبرة لو كن معتبرات

(قال مسلم بن جندب الهلالي) كنت مع عبد الله بن الزبير بنعمان وغلام ينشد خلفه وهو يشتمه أقبح الشتم فقلت له ما هذا فقال دعه فاني تشببت باخت هذا الحجاج بن يوسف فلما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دعا الناس

البيعة

للبيعة فتأخر محمد حتى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بدا فلما دنا منه قال أمحمد قال نعم قال أنشدني ما قلت فأنشده قصيدته هذه فقال لولا ان يقول قائل لضربت عنقك اخرج لا تعجبوا ولا تعد فقال لا تعرضت لاسم زينب ما بقيت قال ولما خاف النميري من الحجاج عاذ باسمه يوسف بن الحكم فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير قام اليه يوسف بن الحكم وقال له يا أمير المؤمنين ان فتى منا ذكر زينب بنت أخيه كريه العربي ابنة عمه وقد علمت ان هذا المرزل يتقلب عليه قال عبد الملك أليس النميري قال بلى قد سمعت شعره فما سمعت مكروها ثم أقبل على الحجاج وقال لا تعرض له ويقال ان عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب الى الحجاج قد بلغني ما كان من قول النميري فلا تدنه فتقطعه ولا تقصه فتغره ولكن أهمله واله عنه فلم يجده الحجاج ومن قوله فيها

تشتو بمكة نعمة ❊ ومصيفها بالطائف
أكرم بتلك مواقفا ❊ وبزينب من واقف

﴿ومن شعره فيها أيضا﴾

وما أنس من شيء فلا أنس شاديا ❊ بمكة مكحولا أسيلا مدامعه
تشربه لون الزارقي في بياضه ❊ أو الزعفران خالط المسك أدرعه

(قال الزبير بن بكار) حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال خرجت الى الشام فلما كنت بالسماوة ودنا الليل رفع لي قصر فأهويت اليه فاذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسنا وجمالا فسلمت فردت علي السلام قالت ممن أنت قلت من بني أمية قالت مرحبا بك انزل فأنا امرأة من أهلك فأنزلتني أحسن منزل وبت أحسن مبيت فلما أصبحت قالت ان لي اليك حاجة قلت ما هي فأشارت الى دير وقالت ان في ذلك الدير ابن عمي وهو زوجي وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير فتمضي اليه وتعظه فخرجت حتى انتهيت الى الدير فاذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجملهم فسلمت عليه فرد وسأل فأخبرته من أنا وأين بت وما قالت المرأة

فقال صدقت أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم ثم صاح بأقسط فخرجت اليه نصرانية عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها أحسن منها فقال هذه قسطا وتلك أروى وأنا الذي أقول

وبدلت قسطا بعد أروى وحبها * كذلك لعمري يذهب الحب بالحب
وما هي اما اذكرها بنطيبه * كبدر الدجى أوفى على غصن رطب

(قال الزبير بن بكار) حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير عند أبي بكر بن عبد الرحمن من مخرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال ولا مال له وكانت تضن عنه فخرج يريد الشام يطلب الرزق فلما كان ببعض الطريق رجع فرجع الى جلسائه بالمصلى فقالوا زادك خير ثم دخل عليها فقالت له أخير رجعت فقال لها

بينما نحن من بلاكث فالقا * ع سراعا والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـراك وهنا فما استطاع مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين حث المطيا

فقالت له لاجرم والله لاشاطرنك مالي فشاطرته اياه ولم تدعه للسفر بعده (ابراهيم بن حسن بن يزيد) عن شيخ من ساكني العقيق قال اني لواقف بالعقيق وقد جاء الحاج اذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة فنظرنا اليها فأعجبنا حالها فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ابن مروان عدلت اليه ونحن ننظر فنزلت ودخلت قصرا من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت فركبت ومضت وان عينيها المنهطلان دموعا فقلت لانظر ما صنعت هذه المرأة فدخلت القصر فاذا كتاب يواجهني في الجدار فقرأته فاذا هو

أليس كفى حزنا لذي الشوق ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا
بلى ان ذا الشوق الموكل بالهوى * يزيد اشتياقا كلما حاول الصبرا

وتحته مكتوب وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفي عنها (ذكروا) عن عائشة رضي الله عنها انها لما قدمت

البصرة

البصرة خطبت وبحضرتها الاحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجال
من وجوه العرب فقالت بعقب ذلك انى أتيت أطلب بدم الامام المذكو
رحمته الحرمات الاربع فمن ردنا عنه بحق قبلناه ومن ردنا عنه بباطل
قاتلناه فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين قال لها موسى بن
طلحة قد فهمنا كلامك فما الاربع حرمات فقالت حرمة الشهر وحرمة
البلد وحرمة الامامة وحرمة الخئولة لا يصلح أمر بعده أبدا فقال
لها الاحنف رحمه الله انى سائلك ومغلظ لك فى المسئلة فلا تجدين على
أعندك عهد من رسول الله فى خروجك هذا قالت لا قال لها أفعندك
عهد من رسول الله انك معصومة من الخطا قالت لا قال لها صدقت ان
الله رضى لك المدينة فأبيت الا البصرة وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فنزلت بيت الحرسة الضبى ألا تخبرينى يا أم المؤمنين ألحرب
قدمت أم للصلح قالت بل للصلح فقال لها والله لو قدمت بينهم الا الخفق
بالنعال والقذف بالحصباء ما اصطلحوا على يديك فكيف والسيوف على
عواتقهم قالت لقد استغرق حكم الاحنف هجاء اباى الى الله أشكو
عقوق أبنائى (ذكروا) انه لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وأسر من
معه أمر بضرب رقابهم فقال رجل منهم أيها الامير انى أتيت اليك بشئ
قال وما هو قال انى كنت جالسا يوما عند عبد الرحمن فأخذ فى عرضك
فناضلته عنك قال ومن يشهد لك بذلك فقام رجل من الجماعة يشهد له
بما قال فقال اتركوه ثم قال للرجل أفلا كنت مثله قال له بغضى فيك لم
يدعنى أتكلم فيك بمثل ذلك فقال واتركوا هذا لصدقه ثم قام رجل آخر
فقال أيها الامير لئن كنا أسأنا فى الخطا لما أحسنت فى العفو فقال الحجاج
أف لهذه الجيف أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم أحد

﴿باب يذكر فيه من صيره العشق الى الاختلاط والجنون﴾

(قال بعضهم) مررت بفورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب فقال له عبد
العزيز لما جاء فسلمت وقلت ما خبرك يا أبا محمد فقال خبرى والله مع

هؤلاء المجانين ظريف أنا عاشق وهم يظنون في جنة وقد أتوني بهذ الطبيب ليعالجني ثم أنشأ يقول

أتوني بالطبيب فعالجوني * على ان قيل مجنون غريب
طبيب الاجر فيه عساه وما * من الايام يعقل أو يتوب
وما صدقوا الفتى محبوبه قلبي * أجل من ان يعالجه الطبيب
ومالي جنة لكن قلبي * به داء تموت به القلوب
وما عبد العزيز طبيب قلبي * ولكن الطبيب هو الحبيب

وقال آخر مررت بمجنون بيده قصبة وفيها عذبة وهو يقول

اذا ما راية رفعت بمجد * تلقاها عرابة باليمين

قال فأخذت بيد الغلام الذي كان يعشقه فوقفت بين يديه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال في ساعة بديهة

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضاً لموارد التلف
وأراك تحوي غير مائلة * متصرفاً عن غير منعرف
يا من أطال بصده أسفي * كلفي عليك أشد من أسف

(وقال بعضهم) اجتزت بفورك المجنون وهو في جماعة من الصبيان راكب قصبة وهو يقول من كان عاشقاً منكم فليقف في الميمنة ومن كان معشوقاً فليقف في الميسرة ووقف هو في القلب فذكر وقال

الى من أشتكيك الى من * الى كم ترى في قصتي غير محسن
الى كم يدوم الهجر والعتب بيننا * سألتك بالرحمن الا رحمتني
فيا لائمي في أحمد لو رأيته * لما لمتني في حبه وعذرتني
أتعجب ان قالوا بفورك جنة * بنفسي ومالي من هواه أجنني

ثم قال احملوا على بركة الله فحملت الميمنة على الميسرة وأخذ كل عاشق معشوقه (قال) ولقيته في يوم خميس في جماعة من الصبيان منصرفاً من تشييع غلام كان يحبه وهو يحدثهم ويلطم خده ويقول ما أحر الفراق فقلت يا أبا محمد من أين أقبلت قال من تشييع الحاج وبكى وقال

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا ودعوا
فلما تولوا ولت النفس معهم * فقلت ارجعي قالت الى أين أرجع
الى جسد مافيه لحم ولادم * ولا فيه الا أعظم تتقعقع
وكذبت فيك الطرف والطرف صادق * وأسمعت أذني فيك ماليس أسمع

قال الحسن بن رفاعة رأيت علاوية المجنون يوما وفي عنقه حبل والصبيان يجرونه فلما رآني قال ياأبا علي عاذا يعذب الله أهل الجرائم يوم القيامة قلت بأشد العذاب قال فانا والله في أشد من عذابه ولو عذب الله أهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد عليهم ثم قال

انظر الى ماصنع الحب * لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حب من * من دونه الاستار والحجب

قال وحضرته وقد أتوه بطبيب يعالجه والطبيب يعاتبه ويقول له لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ فقال في ذلك

أنا منك أعلم أيها المتكلم * مابي أجل من الجنون وأعظم
أنا عاشق فان استطعت لعاشق * برأ منت به وأنت محكم
هيهات أنت لغير مابي عالم * وسواك بالداء الذي بي أعلم
دائي دسيس قد تضمنه الهوى * تحت الجوانح ناره تتضرم

قال ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكرا فقلت ماخبرك فقال

أقول بأعلى الصوت مابي جنة * ومابي الاحب من ليس ينصف
ومابي جنون غير أن بليتي * اذا انكشفت منه أرق وألطف
بنفسي وأهلي من أرى الموت جهرة * اذا مابدا منه البنان المطرف

قال وكان فورك يتعشق غلاما يسمى غلبا فأتاه بعض اخوانه فقال اني خارج نحو غلب فهل من حاجة فقال

نعم أوصيك ان أبصرت غلبا * فقبل وجنتيه وان تأبى

وقل هذى وصية مستهام * اليك قتلته شغفا وحبا

(ودخل) مهدى على بعض ولاة اليمامة فسأله الوالى عن مجلسه مع ظبية واستنشده ما قال فيها من الشعر وكان ابن ظبية حاضرا فانشده مهدى بيتين يصفها فيهما بالعفاف فقام ابنها فنزع عن نفسه جبة خز وشاحا وألقاهما على مهدى لما وصف أمه بالعفاف (قال أحمد بن يحيى) كان القيطنون متملكا على أهل المدينة وكان قد سامهم خسفا وشرط عليهم أنه لا تدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها فتزوج مالك ابن عجلان الخزرجي أخته فلما جهزها وأراد اهداءها الى زوجها وهو قاعد فى مجلس الخزرج اذ خرجت أخته على الحى سافرة فغضب مالك ووثب اليها ليتناولها بالسيف وقال لها افضحتنى ونكست رأسى وأغضضت بصرى فقالت له الذى تريد بى أنت شر من هذا وأقبح وأفضح ان كنتم تهدونى الى غير بعلى فيصيبنى فهذا شر من خروجى سافرة حاسرة فقال مالك صدقت وأبيك وسكت عنها فلما رجعت الى خدرها دخل اليها فقال لها هل فيك من خير فقالت فأى خير عند امرأة الا أن تنال ثأرها فقال لها أكفى ما أريده قالت نعم فشرح لها ما عزم عليه فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها فلبست وتعطرت وتحلت ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها فى جملة نسائها الى قصر القيطنون فلما خلا بها فى مشربة له ودنا منها تنحى نساؤها عنها الا مالك وحده فقالت للقيطنون بحق التوراة الا أمهلتنى ساعة حتى ترجع نفسى فيها الى وتركت أختى هذه تؤانسنى عندك فانى ألفتها من بين أهلى فقال نعم فلما هدأت ساعة قال تقدمى الى فراشك حتى ألحقك فقام القيطنون الى باب مشربته فاغلقه وأتى فراشه وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد فاجتمع الحيان من الاوس والخزرج فسودوه على أنفسهم وملكوه اذ أراحهم من عار الدهر وذلت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأسا (قال الزبير بن بكار) كان عبد الرحمن بن أبى عمار من عباد أهل مكة فسمى القس من عبادته فمر

ذات

ذات يوم بدار سهل بن عبد الرحمن بن عوف مولى سلامة الزرقاء وهى تغنى فسمع غناءها فبلغ منه كل مبلغ فرآه مولاها وتبين ما لحقه فقال له هل لك أن تدخل اليها وتسمع منها فامتنع وأبى فقال له أنا أقعدك فى موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك ولم يزل به حتى دخل وسمع غناءها فأعجبه فقال له هل لك أن أخرجها لك فامتنع بعض الامتناع ثم أجابه فأخرجها اليه وأقعدها بين يديه وغنته فشغف بها وشغفت به وكان أديبا ظريفا واشتهر أمره معها بمكة حتى سموها سلامة القس وخلا معها يوما فقالت له أنا والله أحبك فقال لها وأنا والله كذلك قالت له أحب أن أضع فمك على فى قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك فوالله ان الموضع لخال فقال لها ويحك انى سمعت الله عز وجل يقول فى كتابه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره أن تكون خلة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها وعاد الى الطريقة التى كان عليها من النسك والعبادة وكان يمر فى بعض الايام ببابها فيرسل اليها بالسلام فيقال له ادخل فيأبى وقال فيها أشعارا كثيرة وغنته بها فمنها

ان التى طرقتك بين ركائب * تمشى بمزهرها وأنت حرام
باتت تعللنا وتحسب اننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيام
حتى اذا سطع الصباح لناظر * فاذا الذى ما بيننا أحلام
قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب بما تأتى به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما * طرق الضلالة والهدى أقسام

﴿ومنها قوله﴾

على سلامة القلب السلام * تحية من زيارته لمام
أحب لقاءها وألوم نفسى * كأن لقاءها شئ حرام
اذا ما حن مزهرها اليها * وحنت نحوه أذن الكرام
فدوا فنحوها الاعناق حتى * كأنهم وما ناموا نيام

ولها فيها أشعار كثيرة تركت ذكرها ههنا لانها مستقصاة من أخبارها في كتاب طبقات المغنين (قال) وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف الى عزة وقال لها أأنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية قال أتروين قول كثير فيك

لقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لست أروى هذا ولكني أروى غيره حيث يقول

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

ثم عطف على بثينة فقال لها ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلهن قالت الذى رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة من بين رجال العالمين فضحك حتى بدت سن له سوداء كان يخفيها وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما ﴿وقال محمد بن يحيى المدنى﴾ سمعت عطاء يقول كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولا كاملا يفرح ان رأى من رآها وان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار فاليوم يشير اليها وتشير اليه فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه ﴿وحكى أبو الحسن المدائنى﴾ قال هوى بعض المسلمين جارية بمكة فارادها فامتنعت عليه فانشدها

سألت الفتى المكى هل فى تزاور * وقبلة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله أن يذهب الهوى * تلاصق أكباد بهن جراح

فقالت له بالله انك سمعته وسألته فاجابك بهذا الجواب قال نعم فزارته وجعلت تقول اياك أن تتعدى ما أمرك به عطاء ﴿وروى﴾ عبد الرحمن بن نافع أن أبا هريرة سئل عن قول الله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فقال هى النظرة والغمزة والقبلة وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب مرة ثم لا يعود وباسناده عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال له اني أخذت امرأة في البستان
فاصبت منها كل شيء الا اني لم أنكحها فاصنع ما شئت فسكت عنه صلى
الله عليه وسلم فلما ذهب دعاه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات الآية ﴿قيل لاعرابي﴾ ما كنت
تصنع لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أمتع عيني من وجهها وقلبي من
حديثها وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى بكشفه الا عند حله قيل فان
خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك قال أكل قلبي الى حبها ولا أصير بقبيح ذلك
الفعل الى نقض عهدها ﴿ويروى﴾ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل
وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود
اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل طالبته
ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فلم
تعلم شماله ما تسر يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ﴿وعن
عبد الملك بن قريب الاصمعي﴾ قال بصرت الزباء بعمر بن أبي ربيعة وهو
يطوف بالبيت فتنكرت له وفي كفها خلوق فمسحته بثوبه فقال

أدخل الله رب موسى وعيسى * جنة الخلد من ملاني خلوقا
مسحت كفها بجيب قميصي * حين طفنا بالبيت مسحا رقيقا
لو تجازى القلوب بالود أمسى * قلبها مائلا الي شفيقا

فنظر اليه عبد الله بن عمر في تلك الحالة ينشد الابيات فقال ما هذا زي
المحرم وما يحل للمحرم ان يقول مثل هذا القول في هذا الموضع فقال
يا أبا عبد الرحمن قد سمعت مني ما سمعت فورب هذه البنية ما حللت
ازاري على حرام قط ﴿قال الهيثم بن عدي﴾ دخلت ليلى بنت عبد الله
الاخيلية على الحجاج وعنده وجوه الناس وأشرافهم فاستأذنته في
الانشاد فأذن لها فانشدته قصيدة مدحته بها فلما فرغت من انشادها
قال الحجاج لجلسائه أتدرون من هذه الجارية قالوا لا نعلم أصلح الله الامير

ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالا ولا أجمل منها جمالا ولا أطلق لسانا ولا أبين بيانا فمن هي قال هذه ليلى الاخيلية صاحبة توبة بن الحمير الذي يقول فيها

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها

ثم قال لها يا ليلى ما الذي رابه من سفورك حيث يقول

وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها

قالت أصلح الله الامير لم يرني قط الا متبرقعة وكان أرسل الي رسولا انه يلم بنا ففطن الحي لرسوله فاعدوا له وكمنوا وفطنت لذلك فلم يلبث ان جاء فالقيت برقعي وسفرت له فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر فلم يزد أن سلم علي وسأل عن حالي وانصرف راجعا فقال الحجاج لها لله درك فهل كانت بينكما ريبة قالت لا والذي أسأله أن يصلحك الا انه قال مرة قولا ظننت انه خضع لبعض الامر فقلت له مسرعة هذا الشعر وأنشأت وهي تقول

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والذي أسأله صلاحك ما كلمني بشئ بعدها استربته حتى فرق الدهر بيني وبينه (قال أبو عثمان) قد ترى الاعرابي وظاهره ظاهر ابلغاء فما هو الا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء وألطف من الهواء ومع ذلك يلاقي أحدهم عشيقته فيترشفها ويعانقها من دون الثياب ويمنعه التكرم ويحجزه الورع عن وطئها وان أمكنته قال ابن هرمة

ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها بحلالها مدفوع

ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس (وقال العتبي) قيل لبعض الاعراب ما الذي ينال أحدكم من عشيقته اذا خلا بها قال اللمس والقبل والحديث قال فهل يطؤها قال بابي أنت وأمي ليس هذا عاشقا هذا طالب ولد (قال) وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه اذا خلوا ان يكون له نصفها الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولها

من سرتها الى أخمصها وأنشد ابن الاعرابي في مثل ذلك

فالنصف شطر مطلق من عقاله * وللبعل شطر ما يرام منيع

وأنشد عمرو بن العلاء في نحوه

فالنصفان من حل وبل * ونصف كالبحيرة ما يهاج

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الآخر عليه كالبحيرة فانها كانت في الجاهلية حراما لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء وأنشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته

فهل لك في البدال أبا زنيم * وأقنع بالأكارع والجنوب

قال ابراهيم بن بشار النظام قد يمكن الرجل ان يصبر عن ذلك ما دام ليس له هنالك الا الحديث والقبلة فاما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد ان ينعظ وينشط واذا انعظ وهو في الازار معها انتقض العزم كما قال عبد الرحمن بن أم الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم أبان

ترى شاربيها حين يعتورانها * يميلان أحيانا ويعتدلان

فما ظن ذا الواشي بأبيض ماجد * وبيضاء خود حين يلتقيان

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتني أخاها بعدما كان بيننا * من الامر ما لا يفعل الاخوان

(وقد ذكرنا) ان أهل طبرستان لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر بها حولا كاملا بحرماته يقدم بها فيخطبها الى أهلها ثم يتزوج بها ويزعمون مع ذلك انهم يجدونها بكرا وقد عانقها في ازار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب الا من عشق غالب ولا يجوز ان تواتيه الجارية الا وبها شبه الذي به وان من عجب العجب ان يمكثا متعانقين في لحاف واحد ثم يصبران عن الزنا تكرما وتحرجا وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب *ومن قول سهل بن هرون ثلاثة من المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان

والعريان والسكران فقال له أبو عبد الله الخليع والمنعظ يا أبا عمرو فقال والمنعظ وضحك وأنشد

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا

﴿قال الاصمعي﴾ كان فتى من ثقيف شديد الحياء كريما أديبا فبيناهو جالس اذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك ان قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي وأين تريد وقد كلف بها واشتد عشقه لها فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فاذا هي امرأته فضاق به الامر ولم يدر ما يصنع وكتم شأنه وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جسمه فانكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عما به فلم يخبرهم بشئ من أمره فدعا أخوه الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيأ فلما أعياهم ما به وزاد سقمه حمله أخوه الى الحرث بن كلدة وكان من أطباء العرب فنظر اليه الحرث فلم ير به داء ينكره غير انه ظن انه عاشق فخلا به الحرث فسأله فأبى أن يقر له بشئ فلما أعيا الحرث جعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم والفتى ملق بين يديه كلما سميت امرأة منهم نظر الحرث وجه المريض حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفس واغرورقت عيناه بالدموع فعلم الحرث أمره وقال لاخيه اذهب فجئني بجميع أهلكم ولا يتخلف عني أحد منهم امرأة ولا رجلا فاني قد وقفت على دائه فخرج أخوه حتى أتى أهله فجمعهم في منزل ونقل الحرث المريض اليهم وقال لا يغيبن عنه منكم امرأة ولا رجل فلما نظر الرجل الى امرأة أخيه خف عنه بعض ما كان يجده فعرف الحرث ذلك منه فامر بشاة فذبحت وأخرج كبدها فوضعها على النار ثم أطعمه منها فأكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه وفعل ذلك به أياما يزيده في كل يوم شيأ قليلا في مطعمه ومشربه فحسنت حاله ورجع اليه بعض جسمه فلما رأى الحرث انه قوي بعض القوة صنع له طعاما وهيأ له شرابا ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا وأمر الحرث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه وقال احفظ حديثه وكل ما يتكلم

به

به وحدثه كل حديث تعرفه فى العشق وأخبار العشاق وأشعارهم فلما أخذ الشراب فى الفتى تغنى

أهل ودّى ألا اسلموا * وقفوا كى تكلموا
أخذ الحى حظهم * من فؤادى وأنتم
فهموى كثيرة * وفؤادى مقسم
وأخو الحب جسمه * أبد الدهر يسقم

فلما أصبح الحرث دعا الموكل بالفتى فسأله فعرفه بكل شئ تحدثه وأنشد الابيات التى تغنى بها فدعا أخاه فعرفه أنه عاشق لامرأته فقال له يا أخى أنا أنزل لك عنها وتتزوجها فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هاربا على وجهه فلم يقفوا له على خبر الى اليوم فسمى فقيد ثقيف ﴿وروى﴾ نافع مولى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ثلاثة نفر يمشون اذ أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم فقال بعضهم انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها فدعوا الله تبارك وتعالى فقال أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان فكنت أرعى عليهم فاذا رحت اليهم حلبت وبدأت بوالدى أسقيهما قبل بنىّ وانى لم آت يوما حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما فجعلوا يتضاغون تحت قدمى فلم يزل ذلك دأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله له فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كانت لى ابنة عم فاحببتها كاشد ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت ياعبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم انى

فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله جل ثناؤه فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم انى استأجرت أجيرا فلما قضى عمله قال اعطني حقي فاعرضت عنه وتركته ثم اشتريت بحقه بقرا وراعيها فجاءني بعد حين فقال لي اتق الله ولا تظلمني واعطني حقي فقلت له اذهب الى تلك البقر وراعيها فخذ ذلك فقال لي اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت انى لا أستهزئ بك فخذ تلك البقر وراعيها فاخذها وذهب فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج انا ما بقي ففرجها الله عنهم ﴿وقال الاصمعي﴾ قلت لاعرابية من بني عذرة أنتم أكثر الناس عشقا فما تعدون العشق فيكم قالت الغمزة والقبلة والضمة ثم قالت

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت وأنتم يا حضر كيف تعدون العشق فيكم قلت يقعد بين رجليها ويجهد نفسه فقالت يا ابن أخي ما هذا عاشقا هذا طالب ولد ﴿وقال﴾ عمر بن عبد العزيز في خطبته ان أصل العبادة اجتناب المحارم وأداء الفرائض ﴿وروى﴾ عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلت المرأة خمسها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنة ﴿عرض﴾ الحجاج سجنه يوما فاتى برجل فقال له ما كان جرمك قال أصلح الله الامير أخذني العسس وأنا مخبرك بخبري فان يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة فقال ما قصتك قال كنت أنا ورجل فضرب الامير عليه البعث الى خراسان فكانت امرأته تحدثني وأنا لا أشعر فبعثت الى يوما رسولا قد جاء كتاب صاحبك فهلم فاقرأه فمضيت اليها فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء ثم انها أظهرت لي ما في نفسها ودعتني الى السوء فأبيت ذلك فقالت والله لئن لم تفعل لاصيحن ولاقولن انك لص فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هاربا وكان القتل أهون على من خيانة أخي فلقيني عسس الامير فاخذوني فانا أقول متمثلا

ربة بيضاء ذات دل وحسن * قد دعتني لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحييت

فعرف صدق حديثه وأمر باطلاقه ﴿وقيل لبعض الاعراب﴾ وقد طال عشقه لجارية ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها حديث يطول ولحظ كليل وترك ما يكرهه الرب ويقطع به الحب ﴿قال محمد ابن عبيد الله الزاهد﴾ كانت عندي جارية فبعتها فتبعتها نفسي فصرت الى مولاها مع جماعة اخوانه فسألوه أن يقيلني ويربح علي ما شاء فأبى فانصرفت من عنده مهموما مغموما فبت ساهرا لا أدري ما أصنع فلما رأيت ما بي من الجهد كتبت اسمها في راحتي واستقبلت القبلة فكل ما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي الى السماء وقلت يا سيدي هذه قصتي حتى اذا كان في السحر من اليوم الثاني اذا أنا برجل يدق الباب فقلت من هذا فقال أنا مولى الجارية ففتحت واذا بها فقال خذها بارك الله لك فيها فقلت خذ مالك واربح فقال ما كنت لآخذ منك دينارا ولا درهما فقلت فلم ذلك قال أتاني الليلة في منامي آت فقال لي رد الجارية على ابن عبيد الله ولك الجنة ﴿وكان﴾ عبد الرحمن بن أبي عمار فقيه أهل الحجاز ذو عبادة فمر بنخاس معه قينات فنظر اليهن فتعلق بواحدة منهن فاشتد وجده بها واشتهر بذكرها حتى أتى اليه عطاء ومجاهد يعذلونه فلم يكن جوابه الا ان قال

يلومونني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فخرج حاجا بسببه وبعث الى مولى الجارية واشتراها منه بأربعين ألفا وأمر قيمة جواريه فحلتها وزينتها وبلغ الناس قدومه فدخلوا اليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار فلما أراد النهوض استجلسه فقال له ما فعل حب فلانة قال مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب وأمر بالجارية فأخرجت اليه وقال

هي هذه قال نعم أصلحك الله قال انما اشتريتها لك فوالله ما دنوت منها فشأنك بها فهي لك مباركة وأمر له بمائة ألف درهم وقال له خذ هذا المال لئلا تهتم بها وتهتم بك قال فبكى عبد الرحمن فرحا وقال يا أهل البيت قد خصكم الله بأشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فلتهنكم هذه النعمة وبارك لكم فيها فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبد الله بن جعفر من الجود ﴿وقيل لاعرابي﴾ أتعرف الزنا قال وكيف لا قيل فما هو قال مص الريقة ولثم العشيقة والاخذ من الحديث بنصيب قيل ما هكذا نعده فينا قال فما تعدونه قيل العنق الشديد وان تجمع بين الركبة والوريد وصوت يوقظ النوام وفعل يوجب كثيرا من الآثام قال انا لله ما يفعل هذا العدو البعيد فكيف الصديق الودود ﴿وقيل لآخر﴾ ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أطيع الحب في لثامها وأعصى الشيطان في آثامها ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميما عاره وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفقد لذتها الى اللئيم ولم يلتذ بها كريم ﴿وقيل لآخر﴾ ما أنت صانع ان ظفرت بمن تحب قال أحلل ما يشتمل عليه الخمار وأحرم ما كتمه الازار وأزجر الحب عما يغضب الرب ﴿وقيل لليلى﴾ هذا قيس مات لما به من عشقك قالت ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه قيل لها فما عندك حيلة تخفف ما به قالت صبري وصبره أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴿وقيل لعفراء﴾ وقد بلغها ما نزل بعروة فكادت تبوح بسرها فقيل لها أما عندك له حيلة تخفف ما به فقالت والله لانا أسر بذلك وأشوق اليه منه ولكن لا سبيل الى احتمال العار ودخول النار (وقيل لمية) بعد موت قابوس ما كان يضرك لو امتعتيه بوجهك قبل موته قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه غير اني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة وأحمد للعاقبة (وقيل) لابنة ملك من ملوك الفرس وقد أجهدها عشق رجل من أساورة أبيها لو روحت عن قلبك بالاجتماع معه كف ذلك من

وجدك

وجدك قالت ان الامر على ما تصفون ولكن ما عذري اذا هتكت ستري وأظهرت أمري عند من لا يلزمه عاري ويرغمه اشتهاري والله لا كان هذا أبدا ﴿وحكى﴾ السري بن المطلب قال كان الحرث بن الشريد يعشق عفراء بنت أجر فلما عيل صبره كتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * وبي منك في الاحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم يأتني منك رقعة * تقـــوم لقلبي في مقام العوائد

فلما وصلت الرقعة كتبت اليه

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
فـــوالله لولا أن يقال تظننا * بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة اليه وضعها على وجهه فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه فقيل لعفراء ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبتيه بزورة قالت منعني من ذلك قول عفراء قد صبت الى الحرث فوالله لاقتلن نفسي اثره من حيث لا يعلم بي أحد الا الله فلحقت به سريعا ﴿وقال العتبي﴾ عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقفية وهي ابنة عمه فلم يزل به العشق حتى صار كالشن البالي فلما اشتد ما به شكا أبوه الى أبي مسافر وجهاله فحمل الى دارها وفيه رمق فلما دخل الدار قال أو أنا بموضع تسمع أسماء كلامي قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها يا أسماء قد مات بغصة قالت والله لاموتن بمثلها ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني فج ذكر الريبة ومعاجة الغيبة وسقطت في المرض فلما اشتد بها قالت لاخص نسائها صوري لي صورته فاني أحب أن أزوره قبل موتي ففعلت فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها فدفنت مع الفتى في قبر واحد وكتب على قبرهما

بنفسي هما ما متعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

﴿قال العتبي﴾ قال اعرابي لم يكن العشق ضربا من السحر انه لسبعة من الجنون ﴿وسئلت﴾ اعرابية عن الهوى فقالت هو الهوان غلط باسمه وانما يعرف ما نقول من ابكته المعارف والطلول ﴿وسئلت﴾ اعرابية عن صفة الهوى فقالت

الحب أوله ميل تهيم به * نفس المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * أو مزحة أشعلت فى القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وأنشد لابى جعفر الطريخي

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
انما الحب والهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

﴿وقال اعرابي﴾ ان الصبر على الهوى أشد من الصبر على البلاء كما ان الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه ﴿وليم بعض الحكماء﴾ على الهوى فقال لو كان لذى هوى اختيار لاختار ان لا أهوى وأنشد المجنون ليلى

أصلى فلا أدرى اذا ما ذكرتها * أاثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
أرانى اذا صليت أقبلت نحوها * بوجهى وان كان المصلى ورائيا
وما بى اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

وأنشد لابى العتاهية

لا بارك الله فيمن كان يخبرنى * ان المحبين فى لهو ولذات
لموتة تأخذ الانسان واحدة * خير له من لقاء الموت مرات

﴿وأنشد لاعرابي﴾

وللحب أغصان تراها نضيرة * وفى طعمها للعاشقين زعاف
رأيت القنا يافى عيون أوانس * تقتلن أرواحا وهن ضعاف

﴿وأنشد﴾

رأيت الحب نيرانا تلظى * قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت اذا فنيت تقضت * ولكن مثل ما كانت تعود
كأهل النار اذ فنيت جلود * أعيد من الشقاء لهم جلود

﴿وركبت﴾ سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم مع جواريها فمرت بعروة بن اذينة الليثي وهو في فناء قصر ابن عتبة فقالت لجواريها من الشيخ فقلن لها عروة فعدلت اليه فقالت له يا أبا عامر تزعم انك لم تعشق قط وأنت تقول

قالت وابثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

كل من ترى حوالي من جواري أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط ﴿وأما أهل الدعاوى الباطلة﴾ التي ليست أجسامهم ناحلة ولا ألوانهم حائلة ولا عقولهم بذاهبة فهم عند ذوي الفراسة يكذبون وعند ذوي الظرف محرومون فمن ذلك ما روي ان العباس بن الاحنف قال بينما أنا أطوف اذ بثلاث جوار أتراب فلما أبصرتني قلن هذا العباس ودنت الي احداهن فقالت يا عباس أنت القائل

ماذا لقيت من الهوى وعذابه * طلعت علي بلية من بابه

قلت نعم قالت كذبت يا ابن الفاعلة لو كنت كذلك كنت كأنك كشفت عن أشاجع معراة من اللحم فانشأت تقول

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * فمالي أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلزق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

﴿ومن ذلك﴾ ما روي عن ابراهيم بن المهدي قال دخل علي المأمون فقال بالله يا عم هل عشقت قط فقلت نعم يا أمير المؤمنين وأنا الساعة عاشق قال وأنت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق فانشأ يقول

وجه الذي يعشق معروف لانه اصفر منحول

الى ان قال

ليس لمن تلقاه ذا * جثة كأنه للذبح معلوف

﴿فأجابه ابراهيم﴾

وقائل لست بالمحب ولو * كنت محبا للذبت مذ زمن

أحب قلبي ومادري بدني * ولو دري ما أقام في السمن

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذوي المعرفة والنظر وقول ابراهيم أحب قلبي ومادري بدني من كثرة المحال ان يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حال ولكنه لاستحيائه من ادعائه اعتذر فقبح في اعتذاره وأنشدني بعض المشايخ

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبي بحبك لم يبح * لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

والعرب تمدح أهل النحول وتذم أهل السمن والجسوم وتنفيهم عن الادب وتنسب أهل النحول الى المعرفة وحسن البيان وأهل السمن الى الغباوة وبعد الاذهان ﴿وزعموا﴾ ان من غلب عليه البلغم غلظ جسمه وكبر شحمه وزاد لحمه وقل فهمه وطال نسيانه وتعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه والرطوبة على لبه ومن كان أغلب مزاجه المرة جف جسمه وقل لحمه وصح ذهنه ودق فهمه وانه يستدل بها على حسن أدب ذوي الالباب وصحة أذهان ذوي الآداب لا تكاد تخطي فيه الفراسة ولا تكذب فيه الدلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه وربما أنجب السمن ونجاب الهزال ولا يكون ذلك الا في الفرد النادر من الرجال ومن أمثلة العرب في ذلك البطنة تذهب الفطنة ﴿قال علي بن الجهم﴾ لما أفضت الخلافة الى جعفر المتوكل على الله أهدى اليه ابن طاهر من خراسان هدية جليلة فيها جوار منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف وكان لها مولى قد عني بها فبرعت في فنون الادب وأجادت قول الشعر وكانت راوية ظريفة مجيدة للغناء فقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه قال فخرج

علي يوما وقال لي يا علي دخلت الساعة على فينة وقد كتبت بالمسك على خدها جعفرا فما رأيت أحسن منه فافعل فيه الساعة شعرا فأخذت الدواة والقرطاس فانقفل علي حتى كأني ما عملت بيتا قط فقلت يا أمير المؤمنين لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئا عسى ان يفتح لي فأمرها فقالت مسرعة وأخذت العود فجسته وصاغت لحنا واندفعت فغنت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي خط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد اودعت قلبي من الشوق أسطرا
فاعجب لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

قال علي وغضب عليها مرة وكان لا يصبر عنها فأمر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن فكانت في حجرتها أياما وقد تنغص عيشه لفراقها فبكرت عليه يوما فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني فقلت خيرا يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وسرك انما هي عبدتك والسخط والرضا بيدك فوالله انا في حديثنا اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة قال فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع فمضينا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب العود وتغني

أدور في القصر لا أرى احدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد اتيت معصية * ليست لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى فصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره فصارمني

قال فصاح أمير المؤمنين وصحت معه فتلقته وأكبت على رجله تقبلها فقال ما هذا فقالت يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني فتعللت بما سمعت قال فأنا والله قد رأيت مثل ذلك وقال يا علي أرأيت أعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا الى الموضع الذي كنا فيه واصطلح وما زالت تغنيه هذه الابيات ومنذ ذلك وازدادت حظوتها عنده حتى كان من

أمره ما كان فتفرقت جواريه فصارت محبوبة الى الوصيف الكبير فما زالت باكية حزينة فدعاها يوما مع من صار اليه من جواري المتوكل فامرهن فغنين ثم أمرها فاستعفته فأبى فقالت لها لو كان في حزننا فرح لطال حزننا معك ورجي بعود فغنت به

اى عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا
كل من كان ذا ضنا * وسقام فقد برا
غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشترى

﴿ومن ذلك ما حكى﴾ جميل بن معمر العذري انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة فانه بلغني انهم أصحاب أدب وغزل قال نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان آل بثينة انتجعوا عن حيهم فوجدوا النجعة في موضع نازح فظعنوا فخرجت أريدهم فبينما أنا أسير اذ غلطت الطريق وأجنني الليل فلاحت لي نار فقصدتها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه الى كهف فيه فسلمت فرد علي السلام وقال أظنك قد غلطت الطريق فقلت أجل فقال انزل وبت الليلة فاذا أصبحت وقفت على القصد فنزلت فرحب بي وأكرمني وذبح شاة وأجج ناره وجعل يشوي ويلقي بين يدي ويحدثني في خلال ذلك ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الخباء ومهد لي محلا خاليا فنمت فلما كان في الليل سمعته يبكي الى شخص كان معه فارقت له ليلتي فلما أصبحت طلبت الاذن فأبى وقال الضيافة ثلاث فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله فانتسب فاذا هو من بني عذرة من أشرفهم فقلت وما الذي جاء بك الى هذا فأخبرني انه كان يهوى ابنة عم له وانه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه اياها لقلة ذات يده وانه تزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي وأسكنها في موضعه وانه رضي ان يكون لزوجها راعيا حتى تأتيه ابنة عمه فيراها وأقبل يشكو قديم عشقه لها وصبابته بها حتى أتى المساء وحان وقت مجيئها فجعل يتقلقل ويقوم ويقعد ثم وثب قائما على قدميه

وأنشأ يقول

مابال ميسة لاتأتي كعادتها * أعاجها طرب أوصدّها شغل
لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو ان ما بي من سقم على جبل * لزال وانهدّ من أركانه الجبل

ثم قال لي اجلس يا أخا بني عذرة حتى أكشف خبر ابنة عمي ثم مضى فغاب عن بصري فلم ألبث ان أقبل وعلى يديه محمول وقد علا شهيقه ونحيبه فقال يا أخي هذه ابنة عمي أرادت زيارتي فاعترضها الاسد فأكلها ثم وضعها بين يدي وقال علي رسلك حتى أعود اليك فغاب عن نظري فابطأ حتى آيست من رجوعه فلم ألبث ان أقبل ورأس الاسد على يديه فوضعه ثم قال يا أخي انك سترانى ميتا فاعمد اليّ والى ابنة عمي فأدرجنا في كفن واحد وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل * والشمل يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف الفتنا * فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ورد الغنم الى صاحبها واعلمه بقصتنا ثم عمد الى خناق وطرحه في عنقه فناشدته الله لا تفعل فأبى وخنق نفسه حتى مات فلما أصبحت كفنتهما ودفنتهما وكتبت الشعر كما أمر ورددت الغنم الى صاحبها واعلمته بقصتها فحزن حزنا خفت عليه الهلاك أسفا على ما فرط من عدم اجتماعهما

﴿وقد روى﴾ عن محمد بن جعفر بن الزبير قال كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بني عذرة فقال له يا عذري بلغني ان فيكم رقة وغزلا فاخبرني ببعض ذلك فقال لقد خلفت في الحي ثلاثين مريضا ما بهم داء الا الحب قد خامر قلوبهم وان فيه من المرارة والنكد والكمد ما هو مستعذب عند أربابه مستحسن عند أصحابه حلو لا تعدله حلاوة ومر لا تعدله مرارة قال الكميت بن زيد في ذلك

الحب فيه حلاوة ومرارة * سائل بذلك من تطعم أوذق
ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى أحدا اذا لم يعشق

﴿وقال آخر﴾

ياأيها الرجل المعذب بالهوى * انى باحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهدا * فيطير منه فؤاده ويهيم
والحب داء قد تضمنه الحشا * بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لا يخفى وان أخفيته * ان البكاء على الحبيب يدوم
والحب فيه حلاوة ومرارة * والحب فيه شقاوة ونعيم
والحب أهون ما يكون مبرح * والحب أصغر ما يكون عظيم

﴿وأنشدنى أحمد بن يحيى﴾

سلنى عن الحب يامن ليس يعلمه * ما أطيب الحب لولا انه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله * فى حلق ذائقه مر ولا شهد

﴿وأنشد أبو الطيب﴾

سلنى عن الحب يامن ليس يعلمه * عندى من الحب ان ساءلتنى خبر
انى امرؤ بالهوى مازلت مشتهرا * لا قيمت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته * لكن آخره التنغيص والكدر

﴿وذكر ابن عتيق﴾ قال بينما أنا أسير فى أرض بنى عذرة اذا أنا ببيت جديد قد دنوت منه فاذا بعجوز تعلل شابا قد نهكته العلة وبانت عليه الذلة فسألتها عن خبره فقالت هذا عروة بن حزام قد دنوت منه فسمعته يقول

من كان من اخواتى باكيا الغد * فاليوم أنى أرانى اليوم مقبوضا

فقلت أنت عروة بن حزام قال نعم الذى أقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما اشفيانى
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدرانى
فما تركا من سلوة يعلمانها * ولا شربة الا وقد سقيانى
فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان

فويلي على عفراء ويلا كأنه * على النحر والاحشاء حد سنان
فعفراء أصفى الناس عندي مودة * وعفراء عندي المعرض المتوانى

ثم شهق شهقة توهمت انها غشية فتنحيت عنه ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه فبارحنا حتى دفناه ﴿و بلغ العشق أيضا﴾ بمجنون عامر الى ما ذكرناه في موضعه قال بعضهم سمعت اعرابية تطوف وهي تقول اللهم مالك يوم القضا وخالق الارض والسما ارحم أهل الهوى وانقذهم من عظيم البلا فانك تسمع النجوى قريب لمن دعا ثم أنشأت تقول

يارب انك ذو من وذو سعة * دارك بعافية منك المحبينا
الذاكرين الهوى من بعد ما رقدوا * حتى تراهم على الايدي مكبينا

فقلت لها يا هذه أيقال هذا في الطواف فقالت اليك عني لا يرهقك الحب فقلت وما الحب فقالت جل ان يخفى ودق عن ان يرى له كمون ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من غد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع أتراب لها وهن يقلن لها أضر بنا المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول

قالوا أضر بنا السحاب بقطره * لما رأوها بعبرتي تحكي
لا تعجبوا مما ترون فانما * تلك السماء لرحمتي تبكي

وقد زعم قوم انه لا ذنب على أهل الهوى ولا وزر على ذوي الضنا وان خطاياهم تمحى عنهم لطول بلائهم وكثرة شقائهم ولما يلقون من القلق ويعانون من الارق ﴿أبو الحسن المدايني﴾ عن الاصمعي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما قال الزبير ابن بكار كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعشق أم الاوقص المخزومي القاضي وهي امرأة من بني تميم فكان يتعرض لها فاذا رأته رمت بنفسها وتسترت منه فرّ بها يوما وهي

في بعض نسوة وهن يتحدثن فعرفها فأحب ان يراها من قرب فعدل عنها
والقى اعرابيا راكبا ومعه لبن رطب فدفع دابته وثيابه واخذ قعوده
ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل على النسوة فصحن بالاعرابي أعندك لبن قال نعم
ومال اليهن وجلس يتأمل التميمية وينظر أحيانا الى الارض كأنه يطلب
شيأ وهن يشربن من اللبن فقالت له امرأة منهن أي شئ تطلب يا اعرابي
أضاع منك في الارض قال نعم قلبي فلما سمعت التميمية كلامه نظرت اليه
وكان أزرق فعرفته وقالت ابن عمرو ورب الكعبة ووثبت فسترها
نساؤها وقلن له انصرف عنا لا حاجة لنا الى لبنك فمضى منصرفا (قال
العتبي سمعت اعرابية تقول مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الريح
تقلقه ولمعان البرق يؤرقه ورسوم الديار تحرقه والعذل يؤلمه
والتذكير يسقمه اذا دنا الليل منه هرب النوم عنه ولقد تداويت
بالقرب والبعد فما أنجح فيه دواء ولقد أحسن الذي يقول

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

(وقال اعرابي) ان لي عينا دموعا وقلبا مروعا فماذا يصنع كل واحد
منهما بصاحبه مع ان داءهما دواءهما وسقمهما شفاؤهما (وذكر اعرابي)
وجده بامرأة فقال ما ازددت مني بعدا الا ازددت بها قربا (وذكر
اعرابي) امرأة وكان يواصلها في شبابه فقال ما كانت أيامي معها
الا كاباهيم القطا قصرا ثم طالت بعدها شوقا اليها وأسفا عليها فاليوم
بعدها دهر والساعة شهر (قال أبو بكر بن دريد) كانت امرأة من لخم
يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها يقال له عيسى فلما اخشى أهلها الفضيحة
قالوا لها ان نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك فمنذ ها قالت

خليلي ان اصعدتما أو هبطتما * بلادا هوى نفسي بها فاذكرانيا
ولا تدعا ان لامني ثم لائم * على سخط الواشين ان تعذرانيا
فقد شف جسمي بعد طول تجلدي * أحاديث من عيسى تشيب النواصيا
سأرعى لعيسى الود ما هبت الصبا * وان قطعوا في ذاك عمدا لسانيا

(طلق)

﴿وطلق﴾ اعرابي امرأته فقالت لم طلقتني فقال لانك واسعة الثقبة حديدة الركبة خفيفة الوثبة فقالت له وأنت سريع الاراقة بطئ الافاقة ثقيل بين اليدين خفيف بين الرجلين ﴿وطلق﴾ قيس بن الذريح امرأته لبنى فندم على ذلك وقال

فوا كبدي على تسريح لبنى * فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني الوشاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع
فاصبحت الغداة ألوم نفسي * على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه بعد البياع

﴿وتزوج﴾ الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر فلما دخلت عليه نظر اليها وعبرتها تجود على خدها فقال لها بأبي وأمي مم تبكين فقالت من شرف اتضع ومن ضعة شرفت فلما كتب اليه عبد الملك بن مروان بطلاقها قال لها ان أمير المؤمنين أمرني بطلاقك قالت هو والله أبرّ بي ممن زوجك اياي فلما مات أبوها لم تبك عليه فقيل لها في ذلك فقالت والله ان الحزن ليبعثني وان الغيظ ليصمتني ﴿وكانت﴾ زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثا فقالت

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبئك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد ومن كمد * الا وجدت به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه واني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

﴿كانت﴾ عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجبا فأقسمت عليه أمه ان يطلقها فطلقها فذهب عقله ونحل جسمه فحضره الموت فدخلت عليه أم مالك تعوده فلما رآها قال لامه يا عجوز ليهنك فقد ابنك في الدنيا والاثم لك في الآخرة ثم أنشأ يقول

لنا حاجة في آل مروان دونها * من النفر الغر الوجوه قبيل
فمت كمدا ان كان وصلك قد أتى * أو اصبر على ما خيلت فقليل

فلما خرجت عنه فاضت نفسه وما وصلت الى منزلها حتى سقطت ميتة

﴿وقال ابراهيم بن عقبة﴾ طلق اعرابي امرأته وجدله على ذلك عقله فندم وأنشأ يقول

اذا ذكرت ليلى ترقرق دمعه * كأن لم تكن عين بها قبل قرت
وان تلاقيا منك لو تعلمينه * دنت دون حلو العيش حتى أمرت

﴿أبو العيناء﴾ عن أبي حمزة الغساني قال نزل اعرابي من بني أسد بيت اعرابية من بني تميم ضيفا فاتته بقرى حاضر وماء بارد فجعل ينظر اليها من وراء الستر ثم راودها عن نفسها فقالت له ياهذا أما يقرعك الاسلام والكرم كل وان أردت غير ذلك فارتحل فقال لها زوجيني اذا نفسك فقالت الاولياء يزوجونك فخاف ان لا يزوجوه للعداوة بين الحيين فانتسب الى بني عذرة فزوجوه فاقام عندهم زمانا ثم علموا انه أسدي فقالوا له والله انك لكفء كريم ولكن نكره ان تنكح فينا وأنت حرب لنا فخل عن صاحبتنا وكان يحبها حبا شديدا فطلقها وقال

أحبك ياعم حب الحياه * ونيل المنى وبلوغ الظفر
ويعجبني منك عند اللقاء * حياة الكلام وموت النظر
ونائي الجبين شديد البياض * كثيف الجوانب مثل القمر
له وهج كضرام الحريق * يكاد يعرق جلد الذكر

قال ابو ذكوان لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء أحسن من هذا

﴿وقال﴾ خرج محمد بن المنسيري الخارجي البصرة في طلب ميراث له وبها نفر من قومه فأقام بها حولا ينشدهم ويحدثهم وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها أحد فقالوا له يا أبا سليمان هل لك في امرأة مناسبة في قومها جمالا وعقلا وعفافا ورأيا قد سمعت بقدمك فذكرت لها فزعمت انك طلقت زوجتك التي خلفتها في بلدك فرغبت فيك فان أحببت أقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا ورغدنا وعلينا صداقك وما تحتاج اليه فاقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم وقال في ذلك

أسائل بالعراق فراق سعدى * ولا تبدى ولا يرها الفراق

لئن ربح الفراق بهجر سعدى * على أشد من ربح الفراق
اذا عذلوا أقول لهم لسعدى * حلائق لا يحل لها الطلاق
حرام ان يقول نساء قوم * تركتك أو تحدث بي الرفاق

﴿سمعت اعرابية﴾ تقول لزوجها يا مفلس يا قرنان فقال لها ان كان ما ذكرت حقا فواحدة من الله وأخرى منك يا زانية وأنت طالق ثلاثا ﴿خاصمت﴾ امرأة زوجها فطلقها فقالت له يا هذا ولم طلقتني وقد كنت لك ناصحة وعليك شفيقة وما في عيب الا ضيق بجبتي فقال لها زوجها لو كان الضيق في حرك ما طلقتك أبدا ﴿كانت﴾ لرجل في الاهواز ضيعة بالبصرة وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار فتزوج بها امرأة وانتهى الخبر الى امرأته الاهوازية فاستحضرت كتابا على لسان بعض اخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول الحق المال الذي خلفت ولا تتأخر وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جعلا فلما وصل الكتاب الى زوجها وجد او تهاوجد اعظيما وقال للاهوازية أصلحي لي سفرتي فاني راكب الى البصرة ففعلت فلما أصبح الغد ركب فرسه واعطته السفرة ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له ما تكثر اختلافك الى البصرة الا ولك بها امرأة تزوجتها فقال لها والله مالي بالبصرة امرأة للذي وقف عليه من الكتاب فقالت له لست أدري ما تقول وانما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثا بقول جميع المسلمين فالذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه ثلاث ماتت فلم أغير صدر هذه فقال لها كل امرأة لي غيرك في جميع الاقاليم فهي طالق ثلاثا بقول جميع المسلمين فقالت له لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة فندم الرجل وأسقط ما في يديه ﴿ولما تزوجت ليلى﴾ صاحبة قيس بن الملوح هام على وجهه مع الوحش وكان يقول

لها في سواد القلب تسعة أسهم * وللناس في ذاك المكان عشير
ولست بمحص حب ليلى لسائل * من الناس الا ان يقول كثير

وتنشر نفسي بعد موتي لذكرها * فموت لنفسي مرة ونشور
أتاني بظهر الغيب ان قد تزوجت * فكادت بي الارض البراح تمور
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا * تلاق وعيني بالدموع تفور
لئن كان تبدى برد أثوابها العلى * لا تقرعني اني افقير
فما أسرع الاخبار ان قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

﴿حكى﴾ ابراهيم بن محمد بن عرفة قال كانت أم عبد الملك بن سعيد بن خالد ابن عمرو عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك فمرض سعيد وهو بالبادية فعاده فدخل عليه وعنده أختها سلمى فستر وجهها فرأى منها لمحة ثم قامت فرأى طولها فطلق أختها وخطبها فلم يزوجه اباها وكانت اختها ام عثمان عند هشام بن عبد الملك فبعث الى أبيها ان تزوج الوليد تريد ان تتخذه فحلا لبناتك بطلاق واحدة وبتزوج اخرى فابى ان يزوجه فقال الوليد العجب من سعيد خطبت اليه فردني ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها فان زوجتها فهي طالق وان كنت أهواها وقد ذكرنا حديثه مستقصى في موضعه من هذا الكتاب ﴿خاصمت﴾ امرأة زوجها الى المطلب بن حنطب المخزومي قاضي المدينة وكانت قالت له أساء الي وأوجعني ووالله ما أستطيع فان يقتلني نفسي من الجوع والجهد وما اقن الا على الوطن فقال أنت طالق ان كان لا يقمن الا على الوطن فاخبرت القاضي بما قالت وبما قال فقال القاضي بطلب المقادير ورب الكعبة ان الابل ليكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن فقال الزوج كأن المسئلة أصلح الله القاضي أشكلت عليك هي طالق ألف مرة ﴿وطلق﴾ علي بن منظور امرأته فندم عليها ندما شديدا فقال

ما بالطلاق فقدته * وفقدت عاقبة الطلاق
طلقت خير خليلة * تحت السموات الطباق

﴿وأحبت﴾ امرأة الاعرابي ان تفارقه فقال

تمنين الطلاق وأنت مني * بعيش مثل مشرفة الجبال

(قال)

﴿وقال خالد بن صفوان﴾ ما بت ليلة أحب الي من ليلة طلقت فيها نسائي فارجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل فيبعث الي بنتي سليلة فيها طعام وبعث الاخرى الي بفراش أنام عليه ﴿وقيل﴾ لامرأة كانت تطلق كثيرا مالك تطلقين أبدا فقالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم قبورهم ﴿وقال اعرابي لامرأته﴾

أنوهت باسمي في العالمين * وأفنيت عمري عاما فعاما

فأنت الطلاق وأنت الطلا * ق وأنت الطلاق ثلاثا تماما

﴿عروة بن الزبير﴾ عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي واني تزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلة الزوج الثاني و يذوق عسيلتك ﴿دخل﴾ مدني البصرة فتزوج فيها امرأة ثم حصل بينهما تشر فقال لها أنت طالق عدد شعر استك فقالت قاتلكم الله يا أهل المدينة تسرغون الطلاق وتوزنون الطلاق ﴿وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لعطاء﴾ بن صيفي الثقفي لو أصبت زكرة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعا بها قال أفرقها في بني النجار فانها لا تعدوهم ولكن أخبرني أعيا أكبر جسدك ثابت أم جدتك فريعة قال لا أدري قال عطاء الفريعة كانت أكبر وقد تزوجها قبله أربعة أزواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال قالت يلتمسون الضيق ضيق الله عليهم ﴿وطلق اعرابي﴾ زوجته فقيل له ألا تتزوج بعدها فقال مكابدة العفة أيسر من الاحتيال بمصلحة العيال ﴿تزوج﴾ الفضل بن قطن الحارثي ابنة المهلب بن أبي صفرة فجلس يوما معها يشرب فأراد الافتخار عليها فقال

ان كنت ساقية يوما على كرم * كأس المدام فاسقيها بني قطن

ثم انه تحرك فضرط فقالت وأسق هذه بني قطن أيضا فخجل وقال اذهبي

فأنت طالق ﴿وطلق﴾ عطية بن أشجع محبوبة بنت عبد الله امرأته فتزوجت رجلا ذميما فقال في ذلك

لعمري أبي سلمى ولست بشامت * بسلمى فقد أمست بها النعل زلت
وليس بمغفور لسلمى ذنوبها * وان هي صامت كل يوم وصلت
ولو ركبت ما حرم الله لم يكن * بأعظم عند الله مما استحلت

﴿كانت﴾ لبعض الصالحين امرأة تبغضه وكان اذا نام هاعن أمر دعت الله أن يريحها منه وان يعجل طلاقها فاضجرته يوما فطلقها فسجدت لله شكرا فقال الرجل اللهم انها وضعت اليك فما كاذبا وجها وقاحا ورفعت استا مجاهرة بالفحشاء فاجرة فوثب سنور في البيت فافزعها فضرطت فقال الحمد لله الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك

﴿باب ما جاء في الغيرة﴾

﴿يروى﴾ عن عروة بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا شيء أغير من الله * وعن عبد الله بن مسعود أنه قال ان الله ليغار للمسلم فليغر وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شيء أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغيرة غيرتان فغيرة يحبها الله وغيرة يكرهها الله قلنا يارسول الله ما الغيرة التي يحبها الله قال ان يغار أن يأتي معاصي الله و ينتهك محارمه قلنا وما الغيرة التي يكرهها قال ان يغار أحدكم في غير كنهه وعن عبد الملك بن عمير بن عبد الله ابن بكار انه قال الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخله النار ﴿ويروى﴾ ان سارة كانت تحب ابراهيم خليل الرحمن فكانت معه دهرا لا ترزق ولدا فلما رأت ذلك وهبت له هاجر وكانت أمة لها قبطية فولدت لابراهيم اسمعيل صلى الله عليهما فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها وعتبت على هاجر فحلفت لتقطعن عضوا من أعضائها فقال لها

ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه هل لك ان تبرى يمينك قالت كيف أصنع قال اثقبي أذنيها وخصفيها والخصف هو الخياطة ففعلت ذلك بها فوضعت في اذنيها قرطين فازدادت حسنا فقالت سارة انى اغا زدتها جمالا لم تتركه على كونها معه ووجد بها ابراهيم وجدا شديدا فنقلها الى مكه وكان يزورها في كل وقت من الشام لشغفه بها وقلة صبره عنها ﴿وعن ابن أبي مليكة﴾ ان ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر فال فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها ﴿وعن علقمة﴾ ان معاذ بن جبل كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها ضربا ﴿وقال بعضهم﴾ لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها واستدل بافراط غيرتها على افراط حرصها وهذا القول خطأ قد علمنا ان الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسري زوجها بالسراري وتزويجه المهيرات وحين تراه مع بعضهن توهما الفعل ان ذلك من الطرية والكراهة المشاركة فيه وبعض ذلك يكون من طريق الالفة والنفاسة به وليس شكل ما تاتي المرأة اذا رأت على فراشها من شكل ما ياتي الرجل اذا رأى على فراش امرأته رجلا لان المرأة قد عاينت ان الرجل له أربع نسوة والجارية يطؤهن بملك اليمين لما أحله الله في الشريعة وكذلك غيرة فحول الحيوان على اناثها الان فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير الى الغالب قال الراجز * يغار والغيرة في خلق الذكر * والامم تختلف في الغيرة فن الصقالبة ناس لا يتزوجون من قرب منهم في النسب ولا الدار واذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفا عليه والمرأة من الهند اذا مات زوجها وأرادوا احرقه جاءت ليحرقوها معه والديلمي يخرج من الديلم الى حدود ما بين دار الاسلام والديلم ومعه امرأته واخواته وعماته فيبيعهن صفقة واحدة ويسلمهن الى المبتاع

لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ويتزوجها ثم يزعمون مع ذلك انه يجدها بكرا وقد عانقها في ازار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب وان من أعجب العجب ان يكتا ما متعانقين في لحاف واحد يعتبر عن ألذ الامور تكرما وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب ﴿وقال معاوية رضي الله عنه﴾ ثلاث خصال من السؤدد الصلع واندماج البطن وترك الافراط في الغيرة ﴿ولما﴾ نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم اني غيور وأنا فخور وأنا أنف ولكن لا أغار حتى أرى ولا أفخر حتى أفعل ولا آنف حتى أضام فعابوه بقوله لا أغار حتى أرى ويظن به اغضاء عن رؤية السبب لا رؤية المرافقة وعابوا معاوية أيضا بقوله هذا ونسبوه الى قلة الغيرة وما أرى في قوله وترك الافراط عيبا لان الافراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فهذا يأمرها بتزويج الانزع القليل شعر القفا والوجه ولا أرى فيه عيبا أيضا لانه انما قال ذلك ليذكرها بجمال نفسه ليزهدها في غيره وأما قول نصيب

أهيم بدعد ما حييت وان أمت * فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فاني لم أجد له تأويلا وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان وقال لجلسائه أولو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون قالوا لا ندري فكيف كان أمير المؤمنين قائلا قال كان يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

وكان الرجل من العرب اذا خرج مسافرا بدأ بالشجرة يعقد خيطا على ساقها أو على غصن من أغصانها فاذا رجع الى أهله بدأ بالشجرة فنظر

الى الخيط فان كان متصلا حكم ان امرأته خانته وان كان على حاله حكم انها حفظته وانشد أبو زيد النحوي

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم * كثرة ما توصي وتعقاد الرتم

والرتم اسم للخيط الذي يعقد في الخنصر لتذكر الحاجة وكان معاوية ابن أبي سفيان يتمثل بقول الشاعر

ومن اقب رجع السلام بكفه * ومودع لم يستطع تسليما

﴿وقال آخر﴾

وأضحى الغيور أرغم الله أنفه * على ملتقانا قائما يتحلق

وقد مد تشديده من الغيظ والاذى * كما مد تشديده الجار الخنق

﴿وقال الراعي﴾

وظل الغيور آرضا ببنانه * كما عض برذون على الفأس جامح

لقد رابني ان الغيور يودني * وان ندامى الكهول الجحاجح

وصدت ذوات الطعن عني وقد رأت * كلاحي لمراء السنا الطوامح

﴿وقال عبد الله بن الدمينة﴾

ولما لحقنا بالحمول ودوننا * خميص الحشا توذي القميص عواتقه

عرضنا فسلمنا فسلم كارها * علينا وتبريح من الغيظ خانقه

فرافقته مقدار ميل وليتني * على زعمه ما دمت حيا أرافقه

﴿وقال مسكين الدارمي﴾

واني امرؤ لا آلف الا قاعد * الى جنب عرسي لا أفارقها شبرا

ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها * ليجعلها قبل الممات لها قبرا

اذا هي لم تحصن امام فنائها * فليس بمنجيها بنائي له قصرا

ولا حاملي ظني ولا قول قائل * على غيرها حتى أحيط بها خبرا

فهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا * فكيف اذا ما سرت عن بيتها شهرا

﴿وقال مسكين أيضا﴾

ألا أيها الغائر المستشيط * على ما تغار اذا لم تغر

تغار على الناس ان ينظروا * وهل يفتن المحصنات النظر
فيا خير عرس اذا أحضتها * وبت عليها شديد الحذر
تكاد تصفق أضلاعه * اذا ما رأى زائرا أو نفر
فمن ذا يراعي له عرسه * اذا ضمه والمطى السفر

﴿وثلاثة من شعراء أولاد العجم﴾ ممن كان مشتهرا بالغزل مذكورا بالشعر بالبادية كلهم قتلوا منهم وضاح اليمن ويسار الكواعب وسحيم عبد بني الحسحاس وانما قتلوا كفاء من أولئك النساء وحفظا لهن حين رأوا التعريض وشنعة تلك الاشعار لا يشغلهم عنها الا قتلهم مخافة ان يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة ألا ترى ان الحجاج بن يوسف في عتوه لم يتعرض لابن نمير في تشبيبه بزينب أخته مخافة ان يكون ذلك سببا للخوض في ذكرها فيزيد زائد ويكثر مكثر وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يتعرض لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته حتى قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ * ـراء تمشي في مرمر مسنون

ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحسحاس حيث يقول

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم * على وتحوي رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها ورداثيا
فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

ومروايه ليقتلوه على الذي اتهم بها فضحكت فقال

فان تضحكي مني فيارب ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

﴿وحكى﴾ العتبي قال سمع عقيل بن علقمة المري بنتا له ضحكت فشهقت في آخر ضحكها فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول

فرقت اني رجل فروق * من ضحكة آخرها شهيق

قال فنادت باخوتها فبادروا فحالوا بينه وبينها ﴿وحكى﴾ أبو حاتم السجستاني عن الاصمعي قال كان عقيل بن علقمة غيورا وكان الخلفاء

يصاهرونه وكانت له ابنة يقال لها الجرباء فكان اذا خرج الى الشام خرج بها لفرط غيرته فخرج بها مرة و بابن له يقال له عميس فلما كانوا بدير سعيد قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز يا عميس فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته اجزى يا جرباء فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها وما يدريك أنت ما نعت الخمر هذه صفة من قد شربها وأخذ السوط فاهوى نحوها وجاء عميس فحال بينه و بينها فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم فشك فخذيه فبرك فمضوا وتركوه حتى اذا بلغوا أدنى المياه منهم قالوا اللهم اسقطنا جزورا لنا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنى زملونى بالدم * من يلق أبطال الرجال يكلم

ومن يكن درءبه يقوم * شنشنة أعرفها من اخزم

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك وقد ذكرنا خبره فيما مضى ﴿وقال﴾ ومما يحدث الهوى فى قلوب النساء لغير أزواجهن و يدعوهن الى الحرص على الرجال والطلب لهن أمور منها ان يظهر لهن وجها شدة الحذر عليها والاحتفاظ بها والغيرة فى غير موضعها أو يكون الرجل منهم كافى الفساد مظاهرا لها بالزنا فان ذلك مما يغريها بطلب الرجال والحرص عليهم كما قال الشاعر

ما أحسن الغيرة فى حينها * وأقبح الغيرة فى كل حين

من لم يزل متهما عرسه * متبعا فيها لرجم الظنون

أوشك ان يغريها بالذى * يخاف أو ينصبها للعيون

حسبك من تحصينها ضمها * منك الى عرض نقى ودين

لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

﴿ذكر الشعبي﴾ ان عبد الله بن رواحة أصاب جارية له فسمعت به امرأته فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له أفعلتها يا ابن رواحة فقال ما فعلت شيأ فقالت لتقرأن قرآنا والا بعجتك بها قال ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك وهي امرأة غيرا وفي يدها شفرة لا آمن ان تأتي بما قالت فقلت

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات انما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال فالقت السكين من يدها وقالت آمنت بالله وكذبت البصر قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فضحك وأعجبه ما صنعت (وكان) بعض العلماء لشدة شهوة الباه في نأوب النساء وتمكنه فيهن وشدة غيرته يقول ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة انما المصيبة في معاتبتها اياه فانها ان تطرت اليه ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث ان تصير في يده وتبعث الرسائل والاشعار والتحف ﴿قال اسحق﴾ رأيت رجلا بطريق مكة تعادله في المحمل جارية قد شد عينيها والغطاء مكشوف ووجهها باد فقلت له في ذلك فقال انما أخاف عليها من عينيها لا من عيون الناس ﴿وقال سعيد بن سليمان﴾ لان يرى حرمتي ألف رجل على حال يكشف منها ولا تراهم أحب الي من ان ترى حرمتي رجلا واحدا غير منكشف ﴿واستأذن﴾ ابن أم مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده امرأتان من نسائه فقال لهما قوما وادخلا البيت فقالتا يا رسول الله هو أعمى فقال أفعميا وان أنتما

﴿باب من هذا الشكل﴾

وبالرجال أعظم حاجة الى ان يعرفوه ويقفوا عليه وهو الاحتراس من ان يأتي الخبر السابق الى السمع لانه اذا أتى دخل ذلك الخبر السابق الى مقره

دخولا سهلا وصادفه وضعا وطيا وطبيعة قابلة ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لا حيلة فى ازالته ومتى ألقى الى الفتيان شئ من أمور الفتيان فى وقت الغرارة وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة وعند قلة الشواغل قوى استحكامه وصعبت ازالته وكذلك متى ألقى الى الفتيان شئ من أمورهن وهناك سكر الشباب فكذلك يكون حالهم وان الشياطين ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له لا يكن الغلام فتى أبدا حتى يصادف فتى فما الماء البارد العذب بأسرع فى طباع العطشان من كلمته اذا كان الغلام أدنى هوى فى الفتوة وكذلك اذا خلت العجوز بالجارية الحديثة ﴿وقيل﴾ لابنة الحسن لم زنيت بعبدك ولم تزنى بحر وما أغراك به قالت طول السواد وقرب الوساد ولو ان أقبح الناس وجها وأخبثهم نفرا وأسقطهم همة قال لامرأة قد تمكن من كلامها وأعطته سمعها والله يا سيدتى ويا مولاتى لقد أتعبت قلبى وأرقت عينى وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا ولا مالا ولا ولدا لنقض طباعها وفتح عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالا وأكملهم كمالا وانما قال عمر رضى الله عنه اضربوهن بالعرى لان الثياب هى الداعية الى الخروج فى الاعراس والقيام فى المناحات والظهور فى الاعياد فمتى كثر خروجها لم يعدمها ان ترى من هو من شكل طبعها ولو كان بعلها أتم حسنا والذى رأت أنقص حسنا لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه وكانت بما لم تنله وتستكثره منه أشد الوجد وهى به أشد استقبالا كما قال

وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد ✽ هوى النفس شيأ كاقتياد الطرائف

﴿وقيل﴾ لعقيل بن علقمة أما تخاف على بناتك وقد عنسن ولم تزوجهن قال كلا اجوعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا ينظرن فوافقت احدى كلمتيه قول النبى صلى الله عليه وسلم ووافقت الاخرى قول عمر رضى الله عنه فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الصوم وجاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضربوهن بالعرى قال وكان هرون بن عبد الله البردعى يقول

لاهله محرم عليكم ان نظرت الى سائل يقف ببابك وسمعت حلاوة نغمته وكان ينهى الباعة اذا دخلوا سكته عن النداء على بضائعهم ورأيته مرة يضرب عطارا معه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسن صوته فيقول العود المطرى والمحلب واللبان والمسك والعنبر ويردد ذلك بصوته فيرجعه فكن النساء يستمعن اليه ويشرفن من المطالع ويتبعن الابواب حتى تصل عيونهن الى النظر اليه ولو أردن الاسماع لكفتهن الاذان وربما اشترين منه مالا يحتجن اليه قال فقلت له يا أبا وائل فانك قد أنعم الله بشيء كنت تمنعه قال جعلت فداك انما أمنع منى لنفسي لئلا يسمعه من في منزلى فان النساء أسرع شيء ذهاب قلوب الى النغمة الحسنة فان كان معه حسن وجه رثت المرأة من الله ان لم تحتل في صرف قلبه اليها ويصير الزوج قوادا فقلت لا ولا كل هذا قال فاسألك الا سألته ان يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين أو ثلاثا في غير هذه السكة فذهبنا به الى غيرها وجعل العطار ينادى فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتافى له طربا وجعلت لا أمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صوته فقال كيف تراه قلت أراه يستولى على قلوب الرجال قال فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة هذا اذا كانت بلغت من السن مبلغا ونقصت شهوتها فاما اذا كانت شابة ولها فضل جمال ومعها شدة شهوة وكثرة لذة وهى ذات حاجة وخالية الذرع من الفكرة فى المعاش وخالية القلب وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه وغيرة الاخ وقلة صيانة الاب وأصابت من يشجعها على فعلها او يفتح لها أبواب نظرتها ويسعى لها فى طلب الصديق ويحرضها على التهتك وقد قرب منها الصوت وخلت من الرقيب ولم يكن لها فى الارض اشراف ولا أهل عفاف فما عرق السهم من الرمية بمروق هذه الى الباطل ﴿ كانت هند بنت المهلب ﴾ من عقلاء النساء وكانت تقول شيآن لا تؤمن عليها المرأة الرجال والطيب وأنشد اسحق ابن ابراهيم

ولما رمت بالطرف غيرى حسبتها * كما أثرت فيه تؤثر فى قلبى
وانى بها فى كل حال لواثق * ولكن سوء الظن من شدة الحب

﴿وأنشد آخر﴾

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
كل الرجال وان تعفف جهده * لا بد ان بنظرة سيخون

(وقال) كان عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن شاعرا أديبا ذا همة حسنة وكان له غلام كالقمر وجارية كالشمس وكان يهواهما جميعا فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله فشد عليهما فقتلهما جميعا ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلا وقال

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفى فى مجال خناقها * ومدامعى تجرى على خديها
روبت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى * شئ أعز على من عينيها
ما كان قتليها لانى لم أكن * أبكى اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الانام بحسنها * وأنفت من نظر العيون اليها

ثم جلس عند رأس الغلام يبكى

أشفقت ان يرد الزمان بغدره * او أبتلى بعد الزمان بهجره
قرأنا استخرجته من دجنه * لمودتى وجلوته فى خدره
فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده * بالحى منه بكى له فى قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

﴿وأنشد الرازى﴾

أما واهتزازك لو استطيع * لما لحظ الناس بدر التمام
ومن أين للبدر وجه يتيت * ويحيى اذا شاء بالابتسام

فهمه حكاك بحسن الضيا * فن أين للبدر حسن القوام
أغار على حسنه اذ حكا * ك وكان بذلك عند الانام

﴿وأنشد لابي تمام﴾

بنفسي من أغار عليه مني * وأحسد مقلتي نظرت اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه

﴿وأنشد الآخر﴾

أغار عليك من قلبي * ولو أعطيتني أملي
وأشفق ان أرى خديك نصب مواقع القبل

﴿ويروى﴾ ان جميل بن معمر قال لبثينة ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاط الا أخذتني عليك الغيرة ﴿وعن علي بن عبد الله الجعفري﴾ وكان شاعرا أديبا قال كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعاري فحج أبو نواس فلما صار الى المدينة وأنا ذات يوم أنشد والناس مجتمعون على اذ دخل أبو نواس فرأيته من بين الناس ثم قال يا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشفت فيهما فقلت وما هما قال اللذان تقول فيهما

ولما بدا لي أنها لا تحبني * وان هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تبلى بغيري لعلها * تذوق حرارات الهوى فترق لي

قلت أولا أنشدك بيتي اللذين أتغاير فيهما قال بلى فانشدته

ربما سرني صدودك عني * وطلابيك وامتناعك مني
حذرا أن يكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

قال فسألت عنه فقيل لي أبو نواس ﴿وقال الاشعث بن قيس﴾ نزلت ببعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقام الى امرأته فضربها فحجزت بينهما قال فرجع الى فراشه وقال يا أشعث احفظ شيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل رجلا فيم يضرب امرأته ﴿وقال ابن عائشة﴾ كان أبو الاصبع العدواني غيورا وكان له أربع بنات فابى ان يزوجهن فقالت واحدة منهن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقالت

كبراهن

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى * حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه * خليفة جار لا يقيم على الهجر

فقلن لها أنت تريدين شابا غنيا ﴿وقالت الثانية﴾

عظيم رماد القدر رحب فناؤه * له جفنة يشقى بها النيب والجزر
له خلقان الشيب من غير كبرة * تشين ولا وان ولا ضرع غمر

فقلن لها أنت تريدين سيدا ﴿وقالت الثالثة﴾

الا هل تراها مرة وخليلها * يضم كنصل المشرفي المهند
عليه رداء اليسار ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك قد عرفتيه وقلن للصغرى ما تقولين أنت فقالت لا أقول شيأ فقلن لها لن ندعك لانك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرك فقالت لا أدري ما أقول الا انه زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جميعا ﴿وروي﴾ عن سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لابنه يا بني لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة فترمى بالسوء من أجلك وان كانت بريئة ﴿وقال بعض الظرفاء﴾ كنت شديد الغيرة فأخبرت بجيء قبيحة سوداء فذهبت مع اخوان لي عندها ليلة فطفئ السراج فضربت بيدي الى صدرها فاذا دون يدي أربع أيدي فما أعلم اني خطر ببالي امرأة بعد ذلك ﴿وقال﴾ كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غيرة فحكى أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره وزينت أطياره وازهرت الربيع وعلى رأسه وصائف كل واحدة أحسن من صاحبتها فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وكان سليمان مطرقا فرفع رأسه فقال أبا زيد في مثل هذا اليوم يصلب أحد حيا فقلت يا سيدي يا أمير المؤمنين أو قد قامت القيامة قال نعم على أهل الهوى سرائرهم أطرق ورفع رأسه

وقال أبازيد ما طيب في يومنا هذا فقلت قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولنيها مقدودة هيفاء مضمومة لفاء دعجاء أشربها من كفها وأمسح فمي بفمها فأطرق سليمان مليا ودموعه تنحدر فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه فرفع رأسه وقال يا أبا زيد حللت والله في يوم فيه انقضاء أجلك وتصرم مدتك وفناء عمرك والله لاضربن عنقك أو تخبرني ما الذي أثار هذه الصفة من قلبك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت جالسا على باب أخيك سعيد بن عبد الملك واذا جارية قد خرجت الى باب القصر عليها قميص اسكندراني يبين منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها ولها ذؤابة تضرب الى حقويها وتسيل كالعثاكيل على منكبيها وطرة قد أسبلت على جبينها ولها صدغان كأنهما نونان على وجنتيها وحاجبان قد تقوسا على محجري عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة در وهي تقول عباد الله ما الدواء لما لا يشتكى والعلاج لما لا ينتهى طال الحجاب وأبطأ الكتاب العقل ذاهب واللب عازب والعين عبرى والارق دائم والوجد موجود والنفس والهة والفؤاد مختلس فرحم الله قوما عاشوا تجلدا وماتوا تبلدا لو كان في الصبر حيلة والى العزاء وسيلة لكان أمرا جميلا فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني وقالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الوجد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله يا أمير المؤمنين ما أكلت طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني تلك الذلفاء التي يقول فيها الشاعر

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لولاها الذي باعها منه

والله

والله لا مات الا بحسرتها ولا فارق الدنيا الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية ثم أباز يد فاكتم المفاوضة و يا غلام ثقل يده ببدرة قال فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية الى أخيه سليمان ولم يكن في عصرها أجمل منها فلكت قلبه وغلبت عليه دون سائر جواريه فخرجا يوما الى دهناء الغوطة بموضع يقال له دير الرهبان فقرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق و بهجة حفها أنواع الزهر الغض فمن بين أصفر فاقع وأبيض ساطع مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الاذفر و يؤدي تضوع عرفها فتيت العنبر وكان له مغن يأنس به ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمع حديثه يقال له يسار وكان أحسن الناس وجها وأظرفهم ظرفا فامر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى تلك المنتزه فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى ان أتى الليل وحان انصراف يسار الى موضعه فوجد جماعة قد أتاخوا به فسلموا عليه فرد عليهم سلام جذلان بنزولهم وفرح بدخولهم فاحضر الطعام فاكلوا وقدم الشراب فنالوا منه ثم قال هل من حاجة قالوا ما جئناك الا للقرى فقال بالجانب الخصب نزلتم وبالمنزل الرحب حللتم فقالوا له أما الطعام فقد أكلنا وأما الشراب فقد حضر وبقي السماع قال اما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة أمير المؤمنين ونهيه اياي عن الغناء الا ما كان في مجلسه قالوا فلا حاجة لنا في الطعام عندك ما لم تسمعنا فلما رآهم غير مولين عنه رفع عقيرته وغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * في آخر الليل حتى ملها السهر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * قدمعها لطروق الصوت ينحدر

في ليلة البدر لا يدري مضاجعها * أوجهها عنده أضوا أم القمر

لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من لينه للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت الى صحن الفسطاط تسمع

الصوت فجعلت لا تسمع شيأ من خلق ولطافة قد الا الذي وافق المعنى ومن تحت الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله في نفسها ففرك ذلك سا كنا كان في قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج الى صحنه فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا يا ذلفاء فقالت يا أمير المؤمنين

الا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر يا غلام على بيسار فدعت الذلفاء خادما لها وقالت ان سبقت الى يسار فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر فسبق رسول سليمان فاحضره فلما وقف بين يديه وسليمان يرعد غيرة قال من أنت فقال يسار فقال سليمان

تشكل في الشكل يسار امه * كان لها ريحانة تشمه
وخاله يشكله وعمه * ذو شغفة حياته تغمه

﴿فقال يسار﴾

واستبقني الى الصباح اعتذر * ان لساني بالشراب منكسر
فان اكن اذنبت ذنبا أو عثر * فالسيد المولى أحق من غفر

ثم قال يا يسار ألم أنهك عن مثل هذا الفعل فقال يا أمير المؤمنين حملني الثمل وقوم طرقوني وأنا عبد أمير المؤمنين فان رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل قال أما حظي منك فلم أضيعه ولكن لا تركت للنساء فيك حظا أبدا يا يسار اما علمت ان الرجل اذا تغنى أصغت اليه المرأة وان الفرس اذا صهل تودقت له الحصان وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة يا غلام ائتني بختان فختنه فعاش بعد ذلك سنة ومات فسمي الدير دير الخصيان وبه يعرف الى الآن وكتب الى عثمان بن حيان المري عامله على المدينة ان اخص من قبلك من المغنين فخصي الدلال فقال الآن صرنا نساء حقا وادعى بعض بني مروان ان عامل المدينة صحف واغار أى في

افكتاب احص من قبلك فقال الكاتب الذى قرأ الكتاب كيف تقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنها سويسل ﴿قال اسحق بن ابراهيم الموصلى﴾ قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة وأراد سفرا ابن غيرتك على من تخلف قال اخلف معهن الجوع والعرى فانهن اذا جعن لم يزحن واذا عرين لم يبرحن (وعن) المغيرة بن شعبة ان سعد بن عبادة قال لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربت رأسه بالسيف فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لاتعجبوا من غيرة سعد فوالله انى لاغير من سعد والله أغير منى من أجل ذلك حرم الله الفواحش ماظهر منها وما بطن فقال يا أبا ثابت أكنت ضاربه بالسيف قال نعم والذى نزل عليك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا ولم يتمها أراد شاهدا الثلا يتتابع فيه الغيران والسكران ﴿قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة﴾ كان امرؤ القيس ابن حجر منذ ناالا يولد له ذكر وكان غيورا شديد الغيرة فاذا ولدت له بنت قتلها فلما رأين نساؤه ذلك غيبن بناتهن فى احياء العرب وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتادالهن حتى أناخ على حى من أحياء العرب واذا بجوار مجتمعات فقال أيتكن تجيزلى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فأنشأ يقول

تبلت فؤادك اذ عرضت عشية * بيضاء ينكه عليها اللؤلؤ

قال فسكتت ساعة ثم قالت

لعقيلة الادحى بات يحفها * كنفا الظليم وزال عنها الجؤجؤ

فضربها بالسيف فقتلها وسار حتى نزل بحى آخر فاذا بجوار يلعبن فقال ايتكن تجيزلى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فقال

اذا ركبت تعالى مرقاها * على مثل المصير من الرخام

فسكتت ساعة ثم قالت

وقاموا بالعصى ليضربوها * فهبت كالغنيق من النعام

قال فقتلها ثم سار حتى نزل الى حى آخر فاذا بجوار يلعبن فقال أيتكن

تجيزلي هذا البيت وهما راحلتي فسكت عنه وقالت ابنته هات فقال

وكأنهن نعاج رمل هائل * بدف عدن كأيد الشارب

فسكتت ساعة ثم قالت

بل هن أقرب في الخطا من خطوها * ان الخرائد مشيها متقارب

قال فنزل اليها فقتلها وسار (نزل اعرابي) من طي يقال له المثنى بن معروف بابي جبر الفزاري فسمعه يوما يقول لوددت اني بت الليلة خاليا ببنت عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالا أم حراما فقال ما أبالي قال فوثب اليه فضرب رأسه برحي له فشجه ثم ارتحل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * على النأي اني قد وترت أبا جبر

نشرت على اليافوخ منه رحاله * لنصري أمير المؤمنين ولا يدري

وما كان شئ غير اني سمعته * ينادي نساء المؤمنين بلا مهر

قال فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبر وبعث الى المثنى بصلة جزيلة (وعن عبد الملك بن عمير) قال كانت هند بنت النعمان بن بشير الانصاري عند روح بن زنباع وكانت امرأة فصيحة أديبة برزة وكان روح رجلا غيورا فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام فجعل يضربها ويقول أتشرفين وتنظرين الى الرجال قالت ويحك وهل أرى الا جذاميا والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام فقال روح في ذلك

أثني عليك بان باعك ضيق * وبان أصلك في جذام ملصق

وفيه تقول هند

وهل أنا الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان نتجت مهرا كريما فبالحرا * وان يك اقراف فما أنجب الفحل

فقال لها روح اللهم ان مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها ويقيء في حجرها ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وكان شابا جميلا مشتهرا بالخمر فاحبته حبا شديدا فكان يلطم

وجهها

وبرّها وبق على حجرها فقالت رحم الله أبا زرعة فقد استجيبت دعوته
وأنشدت للخزيمي * ما أحسن الغيرة في حينها * الى آخر الابيات
المتقدمة وقال الشنفرى

اذا ما جئت ما أنهاك عنه * ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ فقومي * بسوطك لا أبا لك فاضربيني

﴿نزل﴾ عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خيمته بقديد بفناء بيت من بيوت قديد وهو يريد مكة معتمراً فحط رحله وكان رجلاً جسيماً من أعظم الناس بدناً وأحسنهم وجهاً فأرسلت اليه ربة البيت يا هذا ان لي زوجاً غيوراً ان رأى الانسان بجانب بيتي فيضربني وان رآك في هذا المنزل لقيت منه شراً فانشدك الله الا تحولت عني فأرسل اليها اني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس والتحول يشق علي قال فردت اليه الرسول حتى تحول عنها ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة فقالت هي خردبة بنت أكثم وتزوجها ربيع بن أصرم ولها ابني صغير بعتبه باسم أبيها ثم ذهبت العجوز وقال عاصم بن عمر أبيات شعر ثم دخل زوجها واستقر في منزله فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم انه شفى غيظه ثم انه أتاه فصاح به فخرج فقال له بابي أنت ما عرضك لي فأخبره خبره وخبرها فقال بأبي أنت لو كنت معي في منزلي ما كان علي منك بأس ﴿وقال كان عقيل﴾ ابن علفة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه فقال أما اذا كنت فاعلا فجنبني هجناك وخطب عقيل وقال

رددت صحيفة القرشي لما * أبت اعراقه الا احرارا

(علي بن سليمان الاخفش) قال قال ابن الكلبي كان لقمان بن عاد حكيم العرب غيوراً فبنى لامرأته صرحاً وجعلها فيه فنظر اليها رجل من الحي فعلقها فأتى قومه فأخبرهم وجده بها وسألهم الحيلة في أمره فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو فعمدوا الى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف

وأتوا الى لقمان فاستودعوه اباه فوضع السلاح في بيته فلما مضى تحرك
الرجل في السيوف فقامت اليه المرأة تنظر فاذا هي برجل فشكى اليها
حبه اياها فأمكنته من نفسها فلم يزل معها مقيما حتى قدم لقمان فردته
في السيوف كما كان وجاء قومه فاحتملوه وان لقمان نظر يوما الى نخامة
في السقف فقال من تنخم هذه فقالت أنا قال فتنخمي فقصرت فقال
ياويلتاه والسيوف دهتني فقتلها ثم نزل فلقي ابنته صخر اصاعدة فأخذ
حجرا فهشم رأسها فماتت وقال أنت أيضا امرأة فضربت العرب بذلك
المثل فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت الا ذنب صخر ﴿وولى﴾ عمر بن
الخطاب رضي الله عنه النعمان بن نضلة العدوي بيسان وأراد رحيل
امرأته معه فأبت ذلك وكرهته فلما وصل الى ميسان أراد ان يغيرها
فترحل اليه فكتب اليها

ألا هل أتى الحسناء ان خليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية * وصناجة يجثو على خد مبسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني * ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا في الجوسق المتهدم

فبلغت الابيات عمر بن الخطاب فقال اي والله وأبي وأبيك يسوءني ياغلام
أكتب بعزله فلما قدم على عمر بكته بهذا فقال يا أمير المؤمنين ما شربتها
قط ولا قلت الابيات الا بسبب كذا فقال عمر أظن ذلك ولكن لا تعمل لي
عملا أبدا ﴿ضرب﴾ البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج الى
اذربيجان فاشترى فرسا وجارية وكان مملكا بابنة عمه فكتب ليغيظها

ألا ابلغا أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة الجرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا الايام الغدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه دعت بالدواة وكتبت اليه

اذا شئت غناني غلام مرجل * ونازعته في ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشي مد كفه * الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه * مناناولاتدعو لك الله بالرد
ولا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد
فلما ورد كتابها لم يزد على ان ركب الفرس وأردف الجار به ولحق بها فكان أول شئ بدأها به ان قال لها بالله أكنت فاعلة ما قلت فقالت الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أحقر وأذل من ان أعصى الله فيك ثم قالت له كيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجار به ورجع الى مكانه (قالت) هند بنت بشر لزوجها روح بن زنباع وكان شديد الغيرة عجبا منك كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال لها أما جذام فانى فى أرومتها وأما الجبن فانما لى نفس واحدة فأنا أحفظها ولو كانت لى نفس أخرى لجدت بها وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك ان يغار عليها مخافة ان تجيئه بولد من غيره وتقذف به فى حجره (حكى) دعبل بن على قال عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطرا فما اقتربلعه فقعد لها على طريقها فلما أضجرها قالت والله لوان عبد الله بن سبرة بقربى ما طمعت فى هذا منى فبلغت عبد الله بن سبرة هذه الكلمة وهو فى البعث بأرمينية فترك مركزه وأقبل لا يلوى على أحد حتى وقف ببابها ليلا وكان يوصف بشدة الغيرة فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها أيتها المرأة من هذا الذى عبث بك حتى تمنيت انى بقربك قالت رجل عطار قال لها فما ابتغى قالت لا قال لها فعديه الليلة القابلة وانى أسبقه الى بيتك فبعثت اليه تقول له اذا أتيت الامازيد فهلم الى بيتى الليلة عندى فاقبل اليها وقد سبقه ابن سبرة فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه ثم قتل خادمها وقال لها انما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس ثم ناولها مائة دينار وقال لها اشترى بها خادما وانفقى باقيها على نفسك ثم قال هل لى فأسافقلع رأس

البالوعة ثم جرهما فألقاها فيها ثم سوى رأس البالوعة وقال للمرأة أظهري ان الخادم قد أبق ثم خرج ولم يعلم به أحد ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية وقال في ذلك

ان المنايا بالغدوان لمرضة * يغتاله النمر أو يغتاله الاسد

أو عقرب أو شجى في القلب معترض * أو حية في أعالي منتهى الزبد

﴿ كانت لابن الدمينة ﴾ امرأة يقال لها حما وكان مزاحم بن عمرو السلولي يأتيها ويتحدث اليها فنعها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه فقال ابن مزاحم عند ذلك يذكرها

يا ابن الدمينة والاخبار تحملها * وخد الضائب تبديها وتنميها

أمارة كية ما بين عانتها * وبين سرتها الاشلك كاويها

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم انه لم يرذلك منها الا وقد أفضى اليها فأتى امرأته فقال قد بلغني غشيان مزاحم اليك وقد قال فيك ما قال فأنكرت ذلك وقالت والله ما رأى ذلك الموضع قط قال فما أعلمه بعلامتك التي وصفها قالت النساء رأين ذلك اذ كنت جارتهن فتحدثن به فسمعه مزاحم وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظن انه قد ذهب من قلبه ثم قال لامرأته لئن لم ترسلي اليه الليلة يأتيك في موضع كذا الا قتلتك فأرسلت اليه انك قد سمعت بي ولا أحب ان يأتيني وأنا آتيك في موضع كذا فقعد في الموضع ابن الدمينة وأصحابه وجاء مزاحم وهو يظن انها في الموضع الذي وعدته فخرجوا اليه وأوثقوه وصروا صرة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات واحتملوه حتى أتوا به ناحية دور قومه فطرحوه بها وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر سلاح فعلموا ان ابن الدمينة قتله ورجع ابن الدمينة الى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها وطلبه السلوليون فلم يجدوه ﴿ وحكى الثوري ﴾ ان رجلا من بني عقيل تعلق جارية وأبى أهلها ان يزوجوه اياها وكانت من أجمل النساء وكان اسمها ليلى فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له

حارثة

حارثة بن عوف فقدم على اهلها فأرغبهم فزوجوه وظعن بها فقال العقيلي الذي كان تعلقها

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * تقطع الا من ثقيف وصالها
كأن مع الركب الذين تحملوا * غمامة صيف زعزعتها شمالها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه فخرج في أثرها حتى قدم الطائف فانتسب انه أخ لها وصدقت هي فأدخله زوجها وذبح له ونحر وكان صاحب خمر فجلس هو والثقفي يشربان وهي تسقيهما فلما أخذت الخمر في العقيلي باح بسره فلما سمعه الثقفي هم به ثم غلبه السكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثقفي بأكلب له عقر فأدركه وقد شارف بلاد بني كلب وقد غلبه السكر فبات نخلي أكلبه على جيفته فأكلته فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا في أثر الثقفي فأدركوه فقتلوه وخلوا عليه أكلبه فأكلته وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا الى المرأة فطرقوها في منزله فقتلوها ورحلوا فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها فقال جار الثقفي

لعمري لقد ساق العقيلي حتفه * وما خبر ليلى كان عنها بابعد
وخبر الفتى القيسي قد سيق نحوه * وأمسى مقيما بين أضلاع أزبد
أقاموا جميعا رهن أجواف أكلب * كذلك أمر الله في اليوم والغد

(ويروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الغيرة من الايمان وأيما رجل حس بشيء من الفجور في أهله فلم يغيره الا بعث الله اليه ملكا يقول له غير أربعين يوما فان لم يفعل مسح بجناحه على عينيه فان رأى حسنا لم يدره وان رأى قبيحا لم ينكره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كتب الجهاد على رجال أمتي والغيرة على نسائها فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها الله أجر الشهيد وعن علي عليه السلام انه قال من أطاع امرأته في أربع كبه الله في النار على وجهه ان يطيعها في أن تذهب الى العرسات والى المعلمات والى الحمامات والى الجنائز وقال الاحوص يتشبب بأم جعفر الخطمية

أدور فلولا ان أرى أم جعفر * بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت دوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لا بد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير

فاستعدى أيمن أخوها عليه عامل المدينة وكان أيمن جسيما ضخما وكان الاحوص نحيفا فدفع الى كل واحد منهن سوطا وقال لهما اضرب الاحوص فقال بعض الشعراء

لقد منع المعروف من أم جعفر * أخو ثقة عند الحفاظ صبور

علاك بمتن السوط حتى اتقيته * بأصفر من ماء الصفاق يفور

قال الاحوص بعد ذلك

اذا أنا لم أغفر لايمن ذنبه * فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدى

بمى فأعفو ذنبه فتردنى * أياديه انها مباركة عندى

(تزوج) عبد الله بن يزيد الحنفى امرأة حسناء وكان رجلا ثقيلا جسيما طريفا فاحبها حبا شديدا وكان من أشد الناس غيرة فدعاه حبه لها وشدة غيرته عليها ان خرج بها الى بعض البوادى فابتنى لها قصرا وسكن به وأقام معها مدة (وخرج) عمرو بن سعيد العبدى يريد سفرا له فأخذته السماء فى بعض الطريق فنظر فاذا هو بقصر عظيم فعدل اليه وقرع بابه فخرج اليه عبد الله بن يزيد فعرفه فسلم عليه وأنزله وهيأ له طعاما ثم دعا بشراب من خمر عتيق فبيناهما يشربان اذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاما شابا وسكر زوجها سكرا شديدا فخرجت المرأة الى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته الى نفسها فأبى وقال ما كنت بالذى أفعل برجل آتانى منزله ولم يزل بها معها حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره فأنشأ عمرو يقول

رب بيضاء خصرها يثنى * قد دعتنى لوصلها فأبيت

لم يكن شأنى العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد فلما انصرف عمرو بن سعيد حمد عبد الله الى

المرأة بجمل في عنقها حبلا وعلقها به الى السقف فاضطربت حتى ماتت وعلم ان النساء لا حفظ لهن وآلى على نفسه انه لا يتزوج امرأة أبدا وترك قصره وعاد الى منزله (وقال الفضيل بن الهاشمي) كنت مع ابنة عمي نائما على سرير اذ ظهرت الى بعض جواري فنزلت فقضيت حاجتي ثم انصرفت فبينما أنا راجع اذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت الى موضعي من السرير فغلبني الوجع فصحت فقالت لي ابنة عمي مالك قلت لها لدغتني عقرب قالت وعلى السرير عقرب قلت نزلت لابول فأصابتني ففطنت فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن ان لا يقتلن عقربا في دارها الى سنة ثم قالت

اذا عصي الله في دارنا * فان عقاربنا تغضب
ودار اذا نام حراسها * أقام الحدود بها العقرب

(قالوا) وبينما ابن أبي ربيعة في الطواف اذ رأى جارية من أهل البصرة فأعجبته فدنا منها فكلمها فلم تلتفت اليه فلما كان في الليلة الثانية عاودها فقالت له اليك عني أيها الرجل فانك في موضع عظيم الحرمة وألح عليها وشغلها عن الطواف فأتت زوجها فقالت له تعال معي فأرني المناسك فأقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي مربض المستأسد الحامي

فحدث المنصور بهذا الحديث فقال وددت انه لم تبق فتاة من قريش في خدرها الا سمعت هذا الحديث (وكان) عمارة بن الوليد بن المغيرة بن الوليد سيف الله من فتيان قريش جمالا وشعرا وهو الذي جاءت به قريش الى أبي طالب قالوا هذا عمارة قد عرفت حاله فخذه بدل ابن أخيك محمدا وأعطنا محمدا نقتله فقال لهم أبو طالب ما أنصفتموني تعطوني ابن أخيكم أحفظه وأعطيكم ابن أخي تقتلوه وبعثت قريش عمارة بن الوليد وعمرو ابن العاصي الى النجاشي في أمر من قدم اليه من المهاجرين فلما كانوا في

السفينة ومع عمرو امرأته أم عبد الله فقال لها عمارة قبليني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك وقال عمرو في ذلك

ألم تعلم يا عمار أن من شر شيمة * لمثلك أن يدعى ابن عم له ابنما
أأن كنت ذا بردين أحوى مرجلا * ولست تراعي لابن عمك محرما
اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقعد عمرو على منجاف السفينة لقضاء الحاجة فدفعه عمارة فألقاه في البحر فتخلص حتى كاد يموت فلما صار الى النجاشي أظهر له عمرو انه لم يغضب مما أصابه منه فجاءه عمارة يوما فحدثه ان زوجة الملك النجاشي عاقته وأدخلته الى نفسها فلما تبين لعمرو حال عمارة وشى به عند الملك وأخبره خبره فقال له النجاشي ائتني بعلامة أستدل بها على ما قلت فعاد عمارة فأخبر عمرا بامره وأمر زوجة النجاشي فقال له عمرو لا أقبل هذا منك الا ان تعطيك من دهن الملك الذي لا يدهن به غيره فكلمها عمارة في الدهن فقالت له أخاف من الملك فأبى ان يرضى منها الا ان تعطيه من ذلك الدهن فاعطته منه فأعطاه عمرا فجاء به الى الملك فأمر السواحر فنفخن في احليله فذهب مع الوحش فلم يزل متوحشا حتى خرج اليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فجعل له على الماء شركا فأخذه فجعل يصيح به ارسلني فاني أموت ان أمسكتني فامسكه فمات في يده ﴿عروة ابن الزبير﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل ان يتزوجني بثلاث سنين لما أسمع من كثرة ذكره اياها وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق خديجة قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها بالكره مني يا خديجة ما أرى منك وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا أما علمت ان الله زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت

وقد فعل الله ذلك برسوله قال نعم قالت فبالرفاء والبنين

﴿باب ما ذكر من وفاء النساء﴾

(حكى الاصمعي) عن رجل من بني ضبة قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها حتى أتيت بلاد بني سليم فلما كنت في بعض أحوئها اذا جارية غشى بصري اشراق وجهها فقالت ما بغيتك فاني أراك مولها قلت ابل ضلت لي فأنا في طلبها قالت فتحب ان أرشدك الى من هي عنده قلت نعم قالت الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن فان شاء ردهن فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار فاعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها فقلت لها اهل لك من بعل قالت كان والله فدعي فاجاب الى ما منه خلق ونعم البعل كان قلت لها فهل لك في بعل لا تذم خلائقه ولا تخشى بوائقه فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعا فأنشأت تقول

كنا كغصنين من بان غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمن * أن لا يضاجع أنثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا مذ سنينات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه * عن الوفاء له خلب التحيات

قال فانصرفت وتركتها (قال الاصمعي) قال لي الرشيد أمض الى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وظرف حديثهم فانحدرت فنزلت على صديق لي بالبصرة ثم بكرت أنا وهو الى المقابر فلما صرت اليها اذا بجارية نادى المنار يح عطرها قبل الدنو منها عليها ثياب مصبغات وحلي وهي تبكي أحر بكاء فقلت يا جارية ما شأنك فانشأت تقول

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يا فتيان
أهابك اجلالا وان كنت في الثرى * مخافة يوم ان يسؤك مكاني
واني لاستحييك والترب بيننا * كما كنت أستحييك حين تراني

فقلنا لها ما رأينا أكثر من التفاوت بين زيك وحزنك فأخبرينا بشأنك فأنشأت تقول

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسني * حيا ويكثر في الدنيا مواساتي
أزور قبرك في حلي وفي حلل * كأنني لست من أهل المصيبات
فمن رآني رأى عبرى مفجعة * مشهورة الزى تبكي بين أموات

فقلنا لها وما الرجل منك قالت بعلي وكان يحب ان يراني في مثل هذا الزى فآليت على نفسي ان لا أغشى قبره الا في مثل هذا الزى لانه كان يحبه أيام حياته وأنكر عليها أنها على ذلك قال الاصمعي فسألتها عن خبرها ومنزلها وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت حتى حدثته حديث الجارية فقال لابد ان ترجع حتى تخطبها الى من وليها وتحملها الى ولا يكون من ذلك بد ووجه معي خادما ومالا كثيرا فرجعت الى قومها فأخبرتهم الخبر فاجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم فلما صرنا الى المدائن عنا اليها الخبر فشهقت شهقة فماتت فدفناها هنالك وسرت الى الرشيد فأخبرته الخبر فما ذكرها وقتا من الاوقات الا بكى أسفا عليها

﴿توفى رجل﴾ وبقيت امرأته شابة جميلة فمازال بها النساء حتى تزوجت فلما كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الاول آخذا بعارضتى الباب وقد فتح يديه وهو يقول

حييت ساكن هذا البيت كلهم * الا الرباب فانى لا أحييها
أمست عروسا وأمسى مسكنى جدث * بين القبور وانى لا ألاقيها
استبدلت بدلا غيرى فقد علمت * ان القبور توارى من ثوى فيها
قد كنت أحسبها للعهد راعية * حتى تموت وما جفت مآقيها

ففزعت من نومها فزعا شديدا وأصبحت فاركا (أي مبغضة للازواج) وآلت ان لا يصل اليها رجل بعده أبدا ﴿ولما﴾ قتل عثمان رضي الله عنه وقفت يوما على قبره امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبي فترحمت عليه ثم انصرفت الى منزلها ثم قالت انى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب

وقد خفت ان يبلي حزن عثمان في ذابي فدعت بفهر فرضت فاها وقالت والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبدا وخطبها معاوية فبعثت اليه أسنانها وقالت أذات عروس ترى وقالوا لم يكن في النساء أحسن منها مضحكا وكان هدبة بن خشرم العذري قتل ابن عم يقال له زيادة ابن زيد فطلبه سعد بن العاص وهو يلي المدينة لمعاوية فحبسه فقال في السجن قصيدته التي يقول فيها

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وفي سجنه يقول أيضا

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف في حلق سمر

وعند سعيد غير ان لم أبح * به ذكرتك الامن يذكر بالامر

وسئل عن هذا فقال لما رأيت ثغر سعيد شبهت به ثغرها وكان سعيد حسن الثغر فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المسور بن زيادة فلما احتلم أخرج صبح تلك الليلة الى عامل المدينة فرغبه في العفو وعرض عليه عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم فلما أبى بعث هؤلاء وغيرهم من اخوانه بالحنوط والاكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالنرد فجلسوا ولم يقولوا له شيأ فلما لحظهم اذا بطرف برد تخرج من بعض الاكفان فأمسك ثم قال كأنه قد فرغ من أمرنا قالوا أجل فقام فاغتسل ثم رجع اليهم فأخذ من كل واحد ثوبا ورد ما بقي وأخرج ليقاد منه فجعل ينشد الاشعار فقالت له حبا المدنية ما رأيت أقسى قلبا منك تنشد الاشعار وقد دعي بك لتقتل وهذه خلفك كأنها غزال عطشان تولول يعني امرأته فوقف ووقف الناس معه فاقبل على حبا فقال

وجدت بها ما لم تجد أم واحد * ولا وجد حبي بابن أم كلاب

واني طويل الساعدين عمردل * على ما تشهت من قوة وشباب

فاغلقت الباب فى وجهه وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى فقال له على هذه الحال قال نعم فابتدأ ينشده

ولست بفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

﴿قال﴾ ونظر رجل الى امرأته فدخلته غيرة فقال وقد كان زيادة بجزع أنفه يسفه

فان تك أنفى بان عنى جماله * فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

(وعن أبى حمزة) الكنانى قال كنت فى حرس خالد بن عبد الله القسرى فقال خالد من يحدثنى بحديث عسى يستريح اليه قلبى فقلت أنا فقال هات فقلت انه بلغنى انه كان فتى من بنى عذرة وكانت له امرأة منهم وكان شديد الحب لها وكانت له مثل ذلك فبيناهو ذات يوم ينظر وجهها اذ بكى فنظرت الى وجهه وبكت فقالت له ما الذى أبكاك قال والله لتصدقينى ان صدقتك قالت نعم قال لها ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى فقلت أموت فتتزوج زوجا غيرى فقالت والله ان ذلك الذى أبكاك قال نعم قالت وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى لك فقلت أموت فيتزوج امرأة غيرى قال الرجل فان النساء حرام على بعدك فلبثا ماشاء الله ثم ان الرجل توفى فجزعت عليه جزعا شديدا فخاف أهلها على عقلها ان يذهب فأجمع رأيهم على ان يزوجوها وهى كارهة لعلها تتسلى عنه فلما كان فى الليلة التى تهدى فيها الى بيت زوجها وقد نام أهل البيت والماشطة تهيئ من شعرها اذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الاول داخلا عليها من الباب وهو يقول خنت يا فلانة عهدى والله لا هنيت العيش بعدى فانتبهت مرعوبة وخرجت هاربة على وجهها وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر ﴿قال اسحق﴾ خرجت امرأة من قريش من بنى زهرة الى المدينة تقضى حقا لبعض القرشيين وكانت ظريفة جميلة فرآها

من بني أمية رجل فأعجبته وتأملها فأخذت بقلبه وسأل عنها فقيل له
هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة ووصفت له بما زادها كلفه فخطبها
الى أهلها فزوجوه اياها على كره منها وأهديت اليه فرأت من كرمه
وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به فلم تقم عنده الا قليلا حتى أخرج أهل
المدينة بني أمية الى الشام فنزل بها أمر ما ابتليت بمثله فاشتد بكاؤها
على زوجها وبكاؤه عليها وخيرت بين ان تجمع معه مفارقة الاهل والولد
والاقارب والوطن أو تتخلف عنه مع ما تجد به فلم تجد شيأ أخف عندها
من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها فلما صارت بالشام صارت
تبكي ليلها ونهارها ولا تهنأ طعاما ولا شرابا شوقا الى أهلها ووطنها
فخرجت يوما بدمشق مع نسوة تقضي حقا لبعض القرشيين فمرت بفتى
جالس على باب منزله وهو يتمثل بهذه الابيات

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا * صحون المصلى أم كعهدي القرائن
وهل أدور حول البلاط عوامر * من الحي أم هل بالمدينة ساكن
اذا لمعت نحو الحجاز سحابة * دعا الشوق مني برقها المتيامن
وما أخرجتنا رغبة عن بلادنا * ولكنه ما قدر الله كائن

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع تنفست نفسا صدع
فؤادها فوقعت ميتة فحملت الى أهلها وجاء زوجها وقد عرف الخبر
فانكب عليها فوقع عليها ميتا فغسلا جميعا وكفنا ودفنا في قبر واحد
﴿وكانت﴾ خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنهم وكانت أختها عند عبد الله بن الزبير وهي أحسن
الناس ثغرا وأتمهم جمالا فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد
الله بن الزبير زوجها ثم خطبها فكرهت ان تتزوجه وهو قاتل زوجها
فأخذت فهرا وكسرت به أسنانها وجاءها رسول عبد الملك يخطبها فأذنت
له ليراها فأدى اليها رسالته ورأى ما بها فقالت مالي عن أمير المؤمنين
رغبة ولكني كما ترى فان أحبني فأنا بين يديه فأتاه الرسول فأعلمه بذلك

فقال انا لله انما أردتها على حسن ثغرها الذى بلغنى وأما الآن فلا حاجة لى فيها (وممن) يضرب به المثل فى الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم الشيبانى وذلك ان عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرظ وهو مروان بن زنباع العبسى فخرج هاربا حتى هجم على أبيات بنى شيبان فنظر الى أعظمها بيتا بصره فاذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها فأجارته ولحقته خيل عمرو فبعثت الى أبيها فعرفته انها أجارته فمنعهم عوف عنه وانصرف أصحاب عمرو فأرسل عمرو الى عوف قد آليت الا أقطع طلبى الا ان يضع يده فى يدى فقال عوف والله ما يكون ذلك أبدا ولكن يدى بين يديك ويده قال فرضى عمرو بذلك فوضع مروان يده فى يد عوف ووضع عوف يده فى يد عمرو فقال عمرو لا حر بوادى عوف فذهبت مثلا (وحكى) عصام المزى عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية قبل نجد وقال ان سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلن أحدا فبينا نحن نسير اذ لحقنا رجل معه ظعائن يسوقها أمامه فأخذناه فقلنا له أسلم قال وما الاسلام فعرفناه اياه قال أرأيتم ان لم أسلم ما أنتم صانعون بى قلنا نقتلك قال فهل أنتم تاركى حتى أوصى من فى هذا الهودج بكلمات قلنا نعم فدنا من الهودج وفيه ظعينة فقال أسلمى حبيش قبل انقطاع العيش فقالت أسلم عشرا أو تسعا وترا أو ثمانيا تترا قال ثم جاء فمد عنقه قال شأنكم اصنعوا ما أنتم صانعون فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكى حتى هدأت فحركناها فاذا هى ميتة (العتبى) قال كان خالد بن عبد الله القسرى ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم حدثونا حديثا لبعض العشاق قال أحدهم أصلح الله الامير ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن فقال له بعض جلسائه أنا أحدثك يا أمير المؤمنين بلغنى عن امرأة من يشكر يقال لها أم عقبة بنت عمرو ابن الاعزان وانها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان وكان شديد المحبة

لها والوجد بها وكانت له كذلك فأقاما على هذا الحال ماشاء الله لا يزيد
كل واحد منهما بصاحبه الا اغتباطا فلما حضرت غسان الوفاة قال لها
يا أم عقبة اسمعي ما أقول واجيبي عن نفسك بحق فقالت له والله
لا أجيبنك بكذب ولا أجعله آخر حظك مني فقال انى رجوت ان تحفظي
العهد وان تكوني لي ان مت عند الرجاء أنا والله واثق بك غير انى بسوء
الظن أخاف غدر النساء ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات فلم تمكث
بعده الا قليلا حتى خطبت من كل مكان ورغب فيها الازواج لاجتماع
الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب
فقالت مجيبة له

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
وانى لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بدمعة * تجول على الخدين مني فتكثر

فيئس الناس منها حينا فلما طالت بها الايام نسيت عهده وقالت من قد
مات فقد فات وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس وقد
كان بها معجبا فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول أتاها في منامها
زوجها الاول فقال لها

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم ترع لي عهدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت
فأنكر حالها من حضرها وقلن لها مالك ومابالك قالت ما ترك لي غسان
في الحياة أربا أتاني الساعة فأنشدني هذه الابيات ثم أنشدتها بدمع غزير
وانتحاب شديد من قلب جريح موجع فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في
حديث آخر لتنسى ماهي فيه فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضي حاجة
فأبطأت عليهن فقمن في طلبها فوجدتها قد جعلت السوط في حلقها
وربطتها الى عمود البيت وخنقت نفسها حتى ماتت فلما بلغ ذلك زوجها

المقدام حسن عزاؤه عنها وقال هكذا فليكن النساء في الوفاء فلمن يحفظ سيبا انما هي أيام قلائل حتى ينسى وعنه يتسلى (استعدى) آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر فهرب حتى أتى رجلا شريفا من بني عذرة في أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البدور جمالا فقال الشيخ لبناته تحلين بأجود حليكن والبسن فاخر ثيابكن ثم تعرضن لجميل فمن اختار منكن زوجته اياها ففعلن ذلك مرارا وجعلن يعارضنه فلم يلتفت اليهن وأنشأ يقول

حلفت لكي تعلمن اني صادق * والصدق خير في الامور وأنجح

لتكليم يوم من بثينة واحد * ورؤيتها عندي ألذ وأملح

من الدهر ان أخلو بكن فانما * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

قال أبوهن دعن هذا فوالله لا أفلح أبدا (كانت) أم هانئ بنت أبي طالب تحت زوجها هبيرة بن أبي ليث المخزومي فهرب يوم فتح مكة الى اليمن فمات بها كافرا فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت والله لقد كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الاسلام ولكني امرأة مصيبة وأكره ان يؤذوك فقال النبي صلى الله عليه وسلم نساء قريش خير نساء ركبن المطايا احناهن على ولد صغير وأرعاهن على زوج ذي يد (أبو بكر الانباري) عن أبي السمر قال دخلت منزل نخاس لشراء جارية فسمعت في بيت بازاء البيت جارية تقول

وكنا كزوج من قطا في مفازة * لدى خفض عيش معجب مونق رغد

أصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس اعرض علي هذه المنشدة فقال انها حزينة قلت ولم ذلك قال اشتريتها من ميراث فهي باكية على مولاها لم ألبث ان أنشدت

وكنا كغصني بانة وسط دوحة * نشم جنا الجنات في عيشة رغد

فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا فردة باتت تحن الى فرد

قال أبو السمر اء فكتبت الى عبد الله بن طاهر يخبرها فكتب الي ان ألق

عليَّ هذا البيت فان اجازته فاشتريها ولو كانت بخراج خراسان والبيت

قريب صد بعيد وصل * جعلت منه لي ملاذا

(فقالت سريعة)

فعاتبوه فزاد شوقا * فمات عشقا فكان ماذا

قال أبو السمراء فاشتريتها بألف دينار وحملتها اليه فماتت في الطريق فكانت احدى المحسرات (قال الاصمعي) خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين فمرا بالجبانة واذا امرأة جالسة على قبر تبكي فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فكأنها غمامة جلت شمسا فوقفنا متعجبين ننظر اليها فقال لها ابن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت اليهما ثم نظرت الى القبر فقالت

فان تسألاني عن هواي فانه * بحلو دهذا القبر يا فتيان

واني لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبين (قال الاصمعي) رأيت بالبادية اعرابية لا تتكلم فقلت أخرساء هي فقيل لي لا ولكنها كان زوجها معجبا بنغمتها فتوفي فآلت ان لا تتكلم بعده أبدا (قال الفرزدق) أبق لرجل من بني نهشل يقال له حصن غلام فخرجت في طلبه أريد اليمامة فلما صرت في ماء لبني حنيفة ارتفعت لي سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القرا فأجابوا ودخلت الدار وأنخت ناقتي وجلست فاذا جارية كأنها طالعة قمر فقالت من الرجل قلت من بني حنظلة قالت من أي حنظلة قلت من بني نهشل قالت فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت نعم فتبسمت ثم قالت فان جريرا هدم قوله حيث يقول

أخزى الذي سماك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاسفل

قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها ثم قالت لي ابن ثوم قلت اليمامة فتنفست تنفسا وصل الى سحره فقلت أذات خدر أم ذات بعل فبكت فقلت ما أجبتني عما سألتك قال فلما فهمت قولي ولم تكن أولا فهمته من شدة استغراقها فلما كان بعد ساعة أنشأت تقول

يخيل لي أبا عمرو بن كعب * بانك قد حملت على سرير

فان يك هكذا أبا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فقلت لهم من هذه قالوا عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر قلت فمن عمرو قالوا ابن عمها خطبها ولم يدخل بها فارتحلت من عندهم فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد دفن في ذلك الوقت من ذلك اليوم (يروى) عن سماك بن حرب أن زيد بن حارثة قال يا رسول الله انطلق بنا الى فلانة نخطبها عليك أو علي ان لم تجبك فأتيناها فذكرها زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله اني عاهدت زوجي ألا أتزوج بعده أبدا وأعطاني مثل ذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ذلك في الاسلام ففي له وان كان ذلك في الجاهلية فليس بشئ (قال الاصمعي) خرجت الى مقابر البصرة فاذا أنا بامرأة على قبر من أجمل النساء وهي تندب صاحبه وتقول

هل أخبر القبر سائليه * أم قر عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علما * بالجسد المستكن فيه

يا جبلا كان ذا امتناع * وطود عز لا ترتقيه

يا نخلة طلعها نضيد * يقرب من كف مجتنيه

يا موت ماذا أردت مني * حققت ما كنت أتقيه

دهر رماني بفقد الفي * أذم دهري وأشتكيه

أمنك الله كل خوف * وكل ما كنت تتقيه

أسكنك الله في جنان * تكون أمنا لساكنيه

قال

قال فقلت لها يا أمة الله ما هذا منك قالت لو علمت مكانك ما أنشدت حرفا هذا زوجي وسروري وأنسي والله لا زلت هكذا أبدا أو ألحق به قلت لها أعيدي علي الشعر فقالت هذا من ذاك فقلت خذي اليك وأنشدتها الابيات فقالت فان يكن في الدنيا الاصمعي فانت هو (قال) كان لاشجع ابن عمرو السلمي جارية يقال لها ريم وكان يجدبها وجدا شديدا وتجد به وكانت تخاف له انها ان بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبدا فقال يخاطبها

اذا غمضت فوقي جفون حفيرة * من الارض فابكيني بما كنت أصنع
تعزيك عني بعد ذلك سلوة * وان ليس فيمن وارت الارض مطمع

﴿فأجابته ريم تقول﴾

ذكرت فراقا والمفرق يصدع * وأي حياة بعد موتك تنفع
اذا الزمن الغدار فرق بيننا * فمالي في طيب من العيش مطمع
فلو أبصرت عيناك عيني أبصرت * شآبيب جدر غيثها ليس تقشع

﴿وقال فيها أيضا﴾

وليس لاخوان النساء تطاول * ولكن اخوان الرجال يطول
فلا تبخلي بالدمع عني فان من * يضن بدمع عن هوى لبخيل
فمالي الى رد الشبيبة حيلة * ولا لي الى دفع المنون سبيل
وان لداتي قد مضوا لسبيلهم * وان بقائي بعدهم لقليل

﴿فأجابته ريم﴾

بكى من صروف خطبهن جليل * ومن ذا به عمر الحياة يطول
ومن ذا الذي يبقى على حدث الردى * وللموت في اثر النفوس رسول
وكل جليل سوف يأتي حمامه * وكل نعيم دائم سيزول
لي الويل ان عمرت بعدك ساعة * وان كثير الويل لي لقليل
وتزعم اني لا أجود بعبرة * اذا نجبه قد حان منه أفول
ومن ذا الذي أبكي له ان فقدته * سواك ومن دمعي عليه يسيل
فلا وقيت ريم اذا ما تخافه * اذا ناب خطب للزمان جليل

ولا لقيت يوم القيامة ربها * وميزانها بالصالحات ثقيل
اذا ما سخا قلب امرئ بمودة * فقلبي بود عن سواك بخيل

ولما ماتت أقسمت آلت على نفسها أن لا تأكل طعاما ولا تذوق شرابا فعاشت بعده أياما ثم توفيت فدفنت الى جانبه

﴿ باب ما يذكر من غدر النساء ﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر وقال عمرو المالك

ان من غره النساء بود * بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان وفيها * كل شئ يجن فيه الضمير

﴿ وقال طفيل الغنوى ﴾

ان النساء لأشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

﴿ وفي الحديث المرفوع ﴾ ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء فان ذهبت تقومها كسرتها فاستمتع بها على عوج فيها (وكان) أبو ذر الغفاري يقعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فينشده

هي الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها
أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

(وفي الحديث) شاوروهن وخالفوهن فان في خلافهن البركة (قال علقمة ابن عبدة)

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

﴿ وقال آخر ﴾

تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وان هي أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

(وقال

(وقال أبو عبيدة) حجت امرأة عجير السلولي معه فأقبلت لا تطرق على شاب في الرفقة الا وتكشف وجهها فقال في ذلك

أيا رب لا تغفر لعثمة ذنبها * وان لم يعاقبها العجير فعاقب
حرام عليك الحج لا تطعمينه * اذا كان حج المسلمات الثواقب

(وقال اعرابي)

لا تكثري قولا مضلك ودنا * فقولك هذا للفؤاد مريب
تعدين ما أوليتني منك قابلا * وللفارس العجلان منك نصيب

(أراد رجل) ان يشتري قينة وقد كان أحبها فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه فأنشأ يقول

ما رأينا بواسط كسابي * منظرا لو تزينه بعفاف
بت في حجرها وبات ضجيعي * جنب القلب طاهر الاطراف
فأقيمي مقامنا ثم بيني * لست عندي من قنية الاشراف

(وقال آخر)

لا أشتهي رنق المياه ولا التي * تخاف وتغشاها المبددة الحرب
ولكنني أهوى مشارب أحرزت * عن الناس حتى ليس في صفوها عيب

(وقال اعرابي أيضا)

تعتك لما كان قلبك واحدا * وأمسكت لما صرت تهوى مقسما
وان يلبث الحوض الوثيق بناؤه * على كثرة الوراد ان يتهدما

(وقال أبو نواس)

ومظهرة لخلق الله حبا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وكان رجل يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه فقيل له في ذلك فقال

خطبت كالو كنت قدمت قبلها * لكانت بلا شك لأول خاطب
اذا غاب بعل كان بعل مكانه * فلابد من آت وآخر ذاهب

﴿وعن المطلب بن وداعة السهمي﴾ قال كانت ضباعة بنت عامر من بني عامر بن صعصعة تحت عبد الله بن جدعان فكثت عنده زمانا لا تلد فأرسل اليها هشام بن المغيرة ماتصنعين بهذا الشيخ الكبير الذي لا يولد له فقولي له فليطلقك فقالت ذلك لعبد الله بن جدعان فقال لها اني أخاف ان طلقتك تتزوجي هشام بن المغيرة قالت له فان لك علي ان لا أفعل هذا قال لها فان فعلت فان عليك مائة من الابل تنحرينها وتنسجين ثوبا يقطع مابين الاخشبين وتطوفين بالبيت عريانة قالت لا أطيق ذلك وأرسلت الى هشام فأخبرته فأرسل اليها ما أهون ذلك وما يكبر بك من ذلك أنا أيسر من قريش في المال ونسائي أكثر النساء بالبطحاء وأنت أجمل النساء ولا تعابين في عريك فلا تأبي ذلك عليه فقالت لابن جدعان طلقني فان تزوجت هشاما فعلي ماقلت فطلقها بعد استيثاقه منها فتزوجها هشام فنحر عنها مائة جزور وأمر نساءه فنسجن ثوبا يملأ مابين الاخشبين ثم طافت بالبيت عريانة قال المطلب فاتبعتها بصري اذا أدبرت واستقبلها اذا أقبلت فما رأيت شيأ مما خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها او قريش قد أحدقت بها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أوكله * وما بدا منه فلا أحله

﴿قال الزبير بن بكار﴾ خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له يا ابن أخي قد انتظرت هذا منك انطلق معي فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج اليه ابنتيه فاطمة وسكينة وقال له اختر أيهما شئت فاختار فاطمة فزوجه اياها فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها انك امرأة مرغوب فيك متشوق اليك لا تتركين واني ما أدع في قلبي حسرة سوالك فتزوجي من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان ثم قال لها كأني قد خرجت وقدمت وقد جاءك

لابسا

لا بساحاته من جلاجته يسير في جانب الناس معترضا لك ولست أدع
من الدنيا شيئا غيرك فلم يدعها حتى استوثق منها بالأيمان ومات الحسن
فأخرجت جنازته فوافاه عبد الله بن عمرو وكان يجد بفاطمة وجدا شديدا
وكان رجلا جميلا كان يقال له المطرف من حسنه فنظر الى فاطمة وهي
تلطم وجهها على الحسن فأرسل اليها مع وليدة له ان لابن عمك اربا
في وجهك فارفقي به فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع
من حضرها فلما انقضت عدتها خطبها فقالت كيف أفعل بأيماني قال
لها لك بكل مال مالان وبكل مملوك مملوكان فوفى لها وتزوجها فولدت
له محمدا وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية ﴿وقال الزبير﴾
لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت
القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها كأني بك قد تزوجت طلحة
ابن عمر بن عبد الله بن معمر فحلفت له بعتق رقيقها وان كل شيء لها في
سبيل الله ان تزوجته أبدا فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت أرسل اليها
طلحة بن عمر فخطبها فقالت له قد حلفت وذكرت يمينها فقال لها أعطيك
بكل شيء شيئين وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار
فاصدقها اضعفها فتزوجته فولدت له ابراهيم ورملة فزوج طلحة ابنته
رملة من اسمعيل بن علي بن العباس بمائة ألف دينار وكانت منطقة
الجمال والخلق فقال اسمعيل لطلحة بن عمر أنت أتجر الناس قال له والله
ما عالجت تجارة قط قال بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين
ألفا فولدت لك ابراهيم ورملة فزوجت رملة بمائة ألف دينار فربحت
ستين ألفا وابراهيم ﴿وعن هشام بن الكلبي﴾ قال قال عبد الله بن عكرمة
دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت كيف تجدك قال أجدني
والله الموت وما موتي بأشد علي من أم هشام أخاف ان تتزوج بعدي
فحلفت له انها لا تتزوج بعده فغشي وجهه نورا وقال الآن فلينزل
الموت متى شاء فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز فقلت في ذلك

فإن لقيت خيراً فلا يهنئنها * وإن تعست بؤساً فللبين والفم

فلما بلغها ذلك كتبت إليه قد بلغني ما تمثلت به وما مثلي ومثلك في أخيك الا كما قال الشاعر

وهل كنت الا والهاً ذات ترحة * قضت نحبها بعد الحنين المرجع

فدع ذكر من قد وارت الارض شخصه * ففي غير من قد وارت الارض مقنع

قال فبلغ مني كل مبلغ فحسبت حسابها فاذا هي قد عجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام فدخلت على عمر فأخبرته فأنقض النكاح

﴿وقال الزبير بن بكار﴾ كانت امرأة من العرب تزوجت رجلاً فكانت تحبه ويحبها وجداً شديداً فتحالفا وتعاهدا ان لا يتزوج الباقي منهما بعد الميت ان مات بعلها فتزوجت فلامها أهلها على نقض عهدها فقالت

لقد كان حبي ذاك حباً مبرحاً * وحبي لذا اذ مات ذاك شديد

وكانت حياتي عند ذلك جنة * وحبي لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتي * كذاك الهوى بعد الممات يبيد

﴿وحكى الهيثم بن عدي﴾ قال عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقي منهما فهلك الرجل فلم تلبث المرأة ان تزوجت فلما كان ليلة البناء بها رأت في أول الليل شخصاً فتأملته فاذا هو زوجها وهو يقول لها نقضت العهد ولم ترعي له وأصبحت أمت نكاحها ﴿وروى﴾ ابن شهاب ان رجلاً من الانصار غزا فأوصى ابن عم له بأهله فأتى ابن عم الرجل ليلة من الليالي فتطلع على حال زوجة ابن عمه فاذا في البيت مصباح يزهر ورائحة طيبة واذا برجل متكئ على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول

وأشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت على ترائبها ويغدو * على جرداء لاحقة الحزام

كأن مجامع الربلات منها * فئام ينهضون الى فئام

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله ورفع الخبر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصعد المنبر وخطب وقال عزمت

عليكم

عليكم ان كان الرجل الذى قتل حاضرا ويسمع كلامى فليقم فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله ما كان من خبره فاخبره وأنشده الابيات فقال أضربت عنقه قال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله فقد هدر دمه

﴿وقال أبو عمرو الشيبانى﴾ كان أبو ذؤيب الهذلى يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يبعث اليها خالدا ابن أخيه زهير فراودت الغلام عن نفسها فامتنع وقال أكره ان يبلغ أبا ذؤيب فقالت له ما يرانى واياك الا الكواكب فبات معها وقال

ما ثم الا أنا والكواكب * وأم عمرو فلنعم الصاحب

فلما رجع الى أبى ذؤيب استراب به وقال والله انى لأجد ريح أم عمرو منك ثم جعل لا يأتيه الا استراب به فقال خالد

يا قوم مالى وأبى ذؤيب * كنت اذا ما جئته من غيب

يشم عطفى ويشم ثوبى * كأننى أربته بريب

فقال أبو ذؤيب وهى من قصيدة من جيد شعره

دعا خالدا أسرى ليالى نفسه * تولى على قصد السبيل أمورها

فلما توفاها الشباب وغدره * وفى النفس منه غدرها وفجورها

لوى رأسه عنى ومال بوده * أغانيج خود كان حينا يزورها

تعلقها منه دلال ومقلة * يظل لاصحاب السفاه يثيرها

﴿فأجابه خالد﴾

فلا يبعدن الله عقلك ان غزا * وسافر والاحلام جم غيورها

وكنت اماما للعشيرة تنتهى * اليك اذا ضاقت بأمر صدورها

وقاسمها بالله جهدا لانتم * ألذ من الشكوى اذا ما يسورها

فلم يغن عنه خدعه حين أزمعت * صريمته والنفس مر ضميرها

قال وكان أبو ذؤيب أخذها من مالك بن عويمر وكان مالك يرسله اليها فلما كبر أخذت أبا ذؤيب فلما كبر أخذت خالدا وقال

تريدين كيما تجمعينى وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

أخا الدار أعيت مني قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

﴿قال أبو عبيدة﴾ كان صخر بن عبد الله الشريد يعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب وكان يخطبها فأبى عليه فأقام على ذلك حيناً ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء وقتل عدة منهم وأسر آخرون وأقبل صخر فنظر الى ديارهم بلقعا وأخبر الخبر فشد عليه سلاحه واستوى على فرسه وأخذ أثرهم حتى لحقهم فلما نظروا اليه قالوا هذا كان شرد من بني سليم وقد أحب الله ان لا يدع منهم أحدا ففعل يبرز اليه الفارس بعد الفارس فيقتله فلما أكثر فيهم القتل حلت أسارى بني سليم بعضها بعضا وثاروا على بني أسد ونظر صخر الى سلمى وهي مع عبد أسود قد شدها على ظهره فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها وقد أصابته طعنة أبي ثور الاسدي في جنبه وتزوج سلمى وكان يحبها ويكرمها ويفضلها على أهله ثم بعد ذلك انتقض جرحه فمرض حولا وكان نساء الحي يدخلن الى سلمى عوائد فيقلن كيف أصبح صخر فتقول لا حي فيرجى ولا ميت فينسى ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف فقال أيباع هذا الكفل فقالت عن قريب فسمعها صخر ولم تعلم فقال لها ناوليني السيف أنظر هل صدئ أم لا وأراد قتلها فناولته ولم تعلم فاذا هو لا يقدر حمله فقال

أرى أم صخر ما تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى ان أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد أيقظت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان

قال ونتأت في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها فقال لهم شأنكم فلما قطعت مات ﴿قال كان الساطرون الملك﴾ ملك اليونانيين

قد بنى حصنا اسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك رجع عنه خائبا حتى غزاه سابور ذو الاكتاف ملك فارس فحصره أشهرا لا يقدر على شئ فاشرفت يوما من الحصن النضيرة ابنة الملك فنظرت الى سابور فهويته وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فارسلت اليه ان أنت ضمنت لى ان تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه ان ائت الى الثرثار نبنا واجعل الرجال يتبعونه حتى بر واحيث يدخل فان ذلك المكان يفضى الى الحصن وفيه بابه ففعل ذلك سابور وعمدت النضيرة الى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته فلم يشعر أهل الحصن الا وسابور معهم وهم آمنون قال فلما ظفر سابور بالحصن وقتل الملك أبا النضيرة وجمع جنده تزوج بالنضيرة فباتت معه مسهرة لا تنام تتقلب من جنب الى جنب فقال لها سابور مالك لا تنامين فقالت ان جنبى تجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه ولا أوطأ وان فرشه لزغب اليمام فلما أصبح سابور نظر الى ورقة آس بين أعكانها فتناولها فدمى موضعها فقال لها ويحك بماذا كان أبوك يغذيك قالت بالمخ والزبد والمخ والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجدير ان لا استبقيك بعد اهلاكك أبوك وقومك وكانت حالتك عندهم هذه الحالة التى تصفين وأمر باحضار فرسين فربطت الى أرجلهما بعد ان زهاونفرا فقطعاها كما تصفين فذلك قول عدى حيث يقول

والحصن صبت عليه داهية * من فوقه أيد مناكبها
من بعد ما كان وهو يعمره * أرباب ملك جزل مواهبها

﴿ويروى﴾ ان وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بالمدينة صغيرين فاحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها حتى اذا شبت حجبت عنه فطال بهما البلاء فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه الى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار الى الوسواس خرج الى مكة حاجا وقال

لعلي أستعيذ بالله مما أنا فيه وأدعو الله فلعله يريحني فلما قضى حجه
شخص الى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لا يجد
حيلة حتى رأى في يوم من الايام جارية صفراء خارجة من القصر فمشى
فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها أتعرفين أم البنين بوضعي
فقالت عن مولاتي تسأل قال لها هي ابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو
أخبرتها قالت فأنا أخبرها فمضت الجارية فأخبرت أم البنين فقالت لها
ويلك أحي هو قالت لها نعم يا مولاتي قالت لها ارجعي اليه وقولي له
كن مكانك حتى يأتيك رسولي فاني لا أدع الاحتيال لك واحتالت له
فادخلته في صندوق فمكث عندها حينا فاذا أمنت أخرجته فقعد معها
واذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق وأهدي يوما للوليد جوهر
فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به الى ام البنين وقل لها أهدى
هذا الى أمير المؤمنين فوجه به اليك فدخل الخادم مفاجأة ووضاح
معها قاعد فلمحه الخادم ولم تشعر أم البنين فبادر الى الصندوق فدخله
وأدى الخادم الرسالة وقال هبي لي من هذا الجوهر حجرا واحدا فقالت
له لا أم لك فما تصنع بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فأخبره الخبر
ووصف له الصندوق الذي رآه دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض
الوليد مسرعا فدخل اليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء
حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين
هبي لي صندوقا من صناديقك هذه قالت أنا لك يا أمير المؤمنين وهي لك
فخذ أيها شئت قال ما أريد الا هذا الذي تحتي قالت له يا أمير المؤمنين ان
فيه شيئا من أمور النساء فقال ما أريد غيره قالت فهو لك قال فأمر به
فحمل ودعا بغلامين وأمرهما يحفران حتى وصلا الى الماء ثم وضع
فمه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فان كان
حقا فقد دفنا خبرك وان كان كذبا فما أهون علينا انما دفنا صندوقا
وأمر بالصندوق فألقي في الحفيرة وأمر بالخادم الذي عرفه فقذف معه

ورد

وردد التراب عليها قال فكانت أم البنين لا ترى الا في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة ﴿وروى﴾ عن أبي نواس قال حججت مع الفضل بن الربيع فلما كنا بارض فزارة أيام الربيع نزلنا منزلا بفنائهم ذو ارض أريض ونبات غريض وقد اكتست الارض نبتها الزاهر وبرزت براخم غرورها والتحفت أنوار زخرفها الباهر ما يقصر عن حسنه النمارق المصفوفة ولا يداني بهجته الزرابي المبثوثة فزادت الابصار في نضرتها وابتهجت النفوس بثمارها فلم نلبث ان أقبلت السماء بالسحاب وأرخت عزاليها ثم اندهمت برذاذ ثم بطش ثم بوابل حتى اذا تركت الديم كالوهاد تقشعت وأقلعت وقد غادرت الغدران مسترعة برفق والقيعان ناضرة بتالق يتضاحك بأنوار الزهر الغض حتى اذا همت بتشبيه منظر حسن رددته اليه واذا انتهت الى موضع طيب لم يجد في البكاء معولا الا عليه فسرحت طرفي رائما في أحسن منظر واستنشقت من رباها أطيب من ريح المسك الاذفر فقلت لزميلي ويحك امض بنا الى هذه الخيمات فلعلنا نلقى من نأثر عنه خبرا نرجع به الى بغداد فلما انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مبرقعة بطرف مريض وسنان النظر قد حشي فتورا وملئ سحرا فقلت لصاحبي والله انها لترنو عن مقلة لا رقية لسليمها ولا برء لسقيمها فقال لي وكيف السبيل الى ذلك فقلت استسقها ماء فدنونا منها فاستسقيناها فقالت نعم ونعما عين وان نزلتما ففي الرحب والسعة ثم قامت تتهادى كالغصن الملبد فراعني والله ما رأيت منها فأتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه على يدي ثم قلت وصاحبي عطشان أيضا فأخذت الاناء ودخلت الخباء ثم جاءت فقلت لصاحبي تعرض لكشف وجهها فقال

اذا بارك الله في ملبس * فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون المها غرة * ويكشف عن منظر أشنع

فرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقنعت بخمار أسود وأنشأت

وهي تقول

الا حي ضيفي مشرق دار اهما * أصلا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة * ليستمتعا باللحظ من سقاهما
يذمان لباس البراقع ضلة * كأنه تحجر اسامة مشتراهما

قال فشمت والله كلامها بعقد در وهي من سلكه فهو ينتثر بنغمة عذبة رخيمة لو خوطبت به الصم الصلاب لانبجست ماء رطوبة منطقها وعذوبة لفظها بوجه يظلم انوره ضياء العقول ويتلف من رؤيته مهج النفوس فهي كما قال

فرقت وجلت واستكبرت فما كانت * فلو جن انسان من الحسن جنت

فلم أتمالك ان خررت ساجدا فقالت ارفع رأسك غير مأجور ولا تذمن بعدها برقعا فكشف البرقع عما بطرد الكرى ويشغل الهوى من غير بلوغ أرب ولا ادراك مطلب وليس الا الحين المجلوب والقدر المكتوب والامل المكذوب فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب حيرانا لا أهتدي الى طريق الصواب والتفت الى صاحبي لما رأى قلقي فقال ما هذه الخفة لوجه انما برقت لك بارقة لعلك ما تدري ما تحتها أما سمعت قول الشاعر حيث يقول

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت بئس ما ذهبت اليه لا أبالك لانا أشبه بقول الشاعر حيث يقول

منعمة حوراء يجري وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
خزاعية الاطراف كندية الحشا * فزارية العينين طائية الفم

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها فاذا هي كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب يهتز على مثل كثيب ولها صدر كالورد عليه رمانتان أو حقان عاج علا تيه الالمس وخصر مطوي الاندماج يهتز في كفل رجراج لو رمت عقده لانعقد وسرة مستديرة يقصر وهي عن بلوغ وصفها تحت ذلك أرنب جاثم أوجبهة أسد غادر وفخذان لفاوان وساقان

خدلجان بخرسان الخلاخيل وقدمان خمصاوان فقالت أعار ترى
قلت لا والله قال فخرجت عجوز من الخباء وقالت أيها الرجل امض لشأنك
فإن قتيلها مطلول لا يودى وأسيرها مكبول لا يفدى فقالت لها
الجارية دعيه فمثله قول ذي الرمة

وإن لم يكن إلا تمتع ساعة * قليلا فإني نافع لي قليلها

فولت العجوز وهي تقول

فما لك منها غير أنك ناكح * بعينيك عينيها فهل ذاك نافع

قال فبينما نحن كذلك إذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل
وكرب داخل ونفس هائمة وحسرة دائمة فقلت في ذلك

رسم الكرى بين الجفون محيل * عفا عليه بكا عليك طويل
يا ناظرا ما أقلعت لحظاته * حتى تشحط بينهن قتيل
أحللت من قلبي هواه محلة * ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي في مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

قال فوالله ما انتفعت بحج ولا لقيت أحدا ممن كنت تأهبت للقائه ثم
رجعنا منصرفين فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نواره وأعشب نبته وتزايد
حسنه قلت لصاحبي امض بنا إلى صاحبتنا فلما مضينا وأشرفنا على
الخيام ونحن دونها استترنا بروضة أريضة مونقة عليها أجمان الطل
يغازلها كالأعين النجل وقد أشرقت بدموعها على قضب الزبرجد
وهبت ريح الصبا فصبت لها الأغصان وتمايلت تمايل النشوان
فصعدنا ربوة ونزلنا وهدة فإذا هي بين خمس لا تصلح أن تكون خادمة
لإحداهن وهن يجنين من نوار ذلك الزهر ويتقلبن على ما أعشب من
عشبه وزهره فلما رأيننا تفرقن فسلمنا عليهن فقالت الجارية من بينهن
وعليك السلام ألست صاحبي آنفا قلت بلى ولكن أنى كان ذلك فقلن
لها أوتعرفينه قالت نعم فقصصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفا

واحدا قلن لها ويحك أفلا زودتيه شيأ قالت زودته والله موتا مريحا ولحدا ضريحا فابرت لها أنضرهن وجها وأرقهن خدا وأرشقهن قدا وأبدعهن شكلا وأكملهن عقلا فقالت والله ما أجملت بدأ ولا أحسنت عودا ولقد أسأت في الرد ولم تكافئيه بالود وانى أحسبه الك وامقا والى لقائك تائقا فما عليك من اسعافه فى هذا المكان ومعك من لا ينم عليك فقالت اهابا تمسا الى ما دعوتنى والله لا أفعل من ذلك شيأ أو تفعلينه وتشركيني فى حلوه ومره وخيره وشره فقالت لها تمسا لك اذا قسمة ضيزى تعشقين أنت فترهبين وتوصلين فتقطعين ويرغب فيك فتزهدين ويبذل لك الود فتمنعين الرد ثم تأمريني ان أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة ومنى عناء وحسرة ما أنصفت فى القول ولا أجملت فى الفعل قالت أخرى منهن قد أطلتن الخطاب فى غير قضاء أرب فسألن الرجل عن قصته وما فى نفسه من بغيته فلعل له لغير ما أنتن فيه فقلن حياك الله وأقر بك عينا من أنت ومن تكون فقلت أما الاسم فالحسن بن هانئ الحكمى وأنا من شعراء السلطان الاعظم ومن يتزين بمجلسه ويفتخر بحمده وشكره ويتقى لسانه قصدت لتبريد غلة واطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابت الجسد ثم استبطنت الاحشاء فمنعت من القرار ووصلت الليل بالنهار فقالت لقد أصغت الى حسن المنطق والمنظر كريم الخيم والخبر وأرجو أن تبلغ أمنيتك وتنال بغيتك فهل قلت شيأ فى صبوتك قلت نعم قلن انشد فانشدتهن

تجنبت رجاء الفوز بالاجر قاصدا * لحط ذنوب من ركوب الكبائر
فأبت كما آب الشقى بخفه * حنين فلم أوجر بتلك المشاعر
دهتنى بعينيها وبهجة وجهها * فتاة كمثل الشمس أسحر ساحر
منعمة لو كان للبدر نورها * لما طلعت بيض النجوم الزواهر
فان بذلت نلت الامانى كلها * وان لم تنلنى زرت أهل المقابر

فقلن أحسنت والله ثم قالت انها والله ساعتك الطولى ان خالفتنى قالت

قد سمعت جوابي فقالت أخرى أجيبها الى ما دعت من الشركة لتكن احداكن في الامر فقلن قد أنصفت وقد أطلن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحي فالوقت ممكن والمكان خال فأجمعن على ذلك ولست أشك فيما أظهرن ثم قلن من تبدأ فقالت اقترعن فوقعت القرعة على أملحهن فصرت الى باب المغارة هنالك فادخلتني وأبطأت عني قليلا وجعلت أتشوق وأنظر الى دخول احداهن فبينما أنا كذلك اذ دخل علي أسود كأنه سارية بيده ايره وهو منعظ كمثل ذراع البكر فقلت ما تريد قال أنيكك فاعتنى والله نفسي فصحت بصاحبي وكان أجلد مني فخلصني من الاسود ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فاذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لا يجحدرن من سالك وهن يتضاحكن حتى غبن عن بصري فاسرعنا الرجعة الى رحالنا فقلت لصاحبي من أين جاء الاسود قال كان ربي عندها عند روحة من المغارة فأومأن اليه فأسرع نحوهن فاوحين اليه شيأ فرأيني ذلك فاسرعت نحوك فسبقني ودخل عليك ولولا ذلك لكان قد تمكن منك الاسود فقلت أتراه كان يفعل قال لي فأنت في شك من هذا فقلت له اكتم علي وانصرفت وأنا والله أخزى من ذات النحيين ﴿وقال دعبل بن علي﴾ بينما أنا سائر بباب الكرخ وقد استولى الفكر على قلبي فخضر في بيت شعر خطر به لساني من غير النطق به فقلت

دموع عيني لها انبساط * ونوم جفني له انقباض

واذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت

وذا قليل لمن دهته * بلحظها الاعين المراض

فلم أعلم اني خاطبت جارية أعذب منها لفظا ولا أسحر طرفا ولا أنضر خدا ولا أحسن مشيا ولا أرجح عقلا فوددت ان كل جارحة مني عين تنظر أو قلب يفهم أو أذن تسمع فقلت

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

ما للزمان يقال فيه وانما * أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال فلحظتها وتبعتنى وذلك حين املاقى واختلال حالى فقلت مالى الا منزل صريع الغوانى فأتيته واستوقفتها ودخلت اليه وقلت ويلك يامسلم أجل لك الخبر وجه على الباب تقل له الدنيا وما فيها مع عسر وضيقة قال لى قد شكوت الى ما كدت أبدؤك به من الشكوى ولكن انت بها على كل حال فلما دخلت قال لى والله ما أملك الا هذا المنديل فقلت له هو البغية قال فاخذته فبعته بثلاثين درهما واشتريت خبزا ولحما ونبيذا واذا هما يتنازعان حديثا كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار فقلت

وحديث كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

فقال لى مسلم بيت نظيف ووجه ظريف ولا نقل ولا ريحان أخرج فالتمس لنا ذاك قال فخرجت وجئت بالطلب فاذا لا حس منهما ولا أثر لهما فجعلت أطيل الذكر وأرجم الظن حتى اذا جن على الليل وفى قلبى لهيب النيران ثاب الى عقلى وقلت لعل الطلب يوقعنى على موضع خفى فوقفت على باب سرداب واذا هما قد نزلا ومعهما جميع ما يحتاجان اليه فأكلا وشربا ونعما فدليت رأسى وصحت مسلم ثلاث مرات فلم يكلمنى بأكثر من أن قال لى محلنا والنفقة من عندنا وأنت فضولى ما هذا الذى تقترح اصبر مكانك حتى يؤذن لك فبقيت طول ليلتى أتقلى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا فلما انشق الصبح اذا به طلع وطلعت الجارية فى أثره فاسرت اليه وخرجت تعدو ولم تخاطبنى فكانت أعظم حسرة نزلت بى

﴿باب ما جاء فى الزنا والتحذير من أليم عقابه﴾

﴿روى﴾ عن الاعمش عن سفيان عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما التى فى الدنيا فزوال البهاء ودوام الفقر وقصر العمر وأما اللواتى فى الآخرة فسخط الله جل ثناؤه وسوء الحساب والخلود فى النار ﴿و﴾ عن الحرث بن النعمان ﴿قال سمعت أنس بن مالك يقول ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقيم على الزنا كعابد وثن (وعن أبي سعيد الخدري) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي انطلق بي الى خلق من خلق الله ونساء معلقات بثديهن ومنهن بارجلهن منكسات ولهن صراخ وخوار فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن ويجعلن لازواجهن ورثة من غيرهم ﴿وعن أبي الدرداء﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليبغض ثلاثة الشيخ الزاني والمقل المختال والبخيل المنان ﴿وعن عمرو بن شرحبيل﴾ عن عبد الله بن مسعود أنه قال قلت يا رسول الله أو قال غيري أي الذنوب أعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل النفس بغير حق قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك قال ثم أنزل الله في كتابه تصديق ذلك ثم قال والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴿وعن عبد الله بن عمر﴾ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه ويقول له ادخل النار مع الداخلين ﴿وعن أبي هريرة﴾ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الاولين والآخرين ﴿ذكر الزنا﴾ عند يحيى بن خالد بن برمك فقال الزنا يجمع الخصال كلها من الشر لا تجد أنيسا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا محافظة على صديق الغدر شعبة من شعبه والخيانة فن من فنونه وقلة المروءة عيب من عيوبه وسفك الدم الحرام جناية من جناياته ﴿وحكى ابن الاعرابي﴾ قال كان الحرث بن أبي شمر الغساني اذا أعجبته امرأة ووصفت له بعث اليها واغتصبها نفسها فوجه الى الزاهرية بنت خولة بن نفيل بن عمرو بن كلاب فاغتصبها نفسها فاتاه أبوها

فقال له

يا أيها الملك المخسوف أما ترى * ليلا وصبحا كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها * ليلا وهل لك بالمليك يدان
فاعلم وأيقن ان ملكك زائل * واعلم بأنك ما تدين تدان

(وعن عدي بن ثابت) قال سمعت عبد الله بن عباس يقول كان في بني اسرائيل راهب عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤن على يديه وانه أتي بامرأة من أشرف قومها قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها لم يزل الشيطان يخوفه و يزين له قتلها ودفنها فقتلها ودفنها وذهب الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب ثم أتى بقية اخوتها رجلا رجلا فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول له والله لقد أتاني آت فذكر لي شيأ كبر علينا فاخبر بعضهم بعضا بما قيل لهم فاتوا الى الراهب فقالوا ما فعلت اختنا قال خرجت ولست أدري أين ذهبت فرفعوا ذلك الى ملكهم فسار اليه الناس حتى استنزلوه من صومعته فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب على خشبة وتمثل له الشيطان فقال له انا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل أنت مطيعي فيما أقول لك واخلصك قال نعم قال تسجد لي سجدة واحدة فسجد له الرجل ثم قتل فهذا داخل تحت قول الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين ولم تزل أشراف العرب في الجاهلية يجتنبون الزنا ويذمونه وينهون عنه وروى هشام بن عروة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش اياكم والزنا فانه يورث الفقر وفي وصية دريد بن الصمة اياكم وفضيحة النساء فانها عقوبة غد وعار أبد يقول يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها ولا يزال لا زعا ما عاش له عاره (وحكى)

بعضهم

بعضهم قال وفد عبد المطلب بن هشام على بعض ملوك حمير فألطف منزلته وأكرمه وكان تاما جميلا فقال له الملك يا أبا الحرث أحب ان ينادمني ابنك فاذن له أبوه في ذلك وكان الحميري أجمل ملوك حمير وكانت زوجته أجمل منه فكان اذا شرب مع الحرث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما فعشقت الحرث زوجة الملك فكاشفت به فراسلته فأعلمها انه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه فألحت عليه فكتب اليها

لا تطمعي فيما رأيت فانني * عف منادمتي عفيف المئزر

أسعى لأدرك مجد قوم سادة * غمر وأقطن البيت عند المشعر

فاقني حياءك واعلمي اني امرؤ * آبى بنفسي ان يعير معشري

ثم انه أخبر أباه فصوب رأيه وقال له يا بني ان لنساء الملوك طماحا فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت والله لا أدعه يتمتع بامرأة أبدا فدست اليه شربة فشربها وارتحل مع أبيه فلما قدم مكة مات فجزع عليه عبد المطلب جزعا شديدا وقال يرثيه

سقى الاله صدى وارية بسدى * ببطن مكة يعفوه الاعاصير

يا حارث الخير قد أورثتني شجنا * فالقلب عن ذكراك تغيير

قلت أتنساك ما هبت شآمية * وما بدا علم في الآل معمور

ولما اقتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث أبا امرئ القيس دار في أحياء العرب فلم ير منهم ما يحب فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم فأقام عنده شهرا فأكرمه ونادمه وأعجبه كماله وعقله ثم بعث معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم ونظرت اليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت اليه ان يلقاها قبل خروجه فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى ان يخون أباها فيها مع ما فعله معه وخرج منصرفا الى بلده فقالت بنت هرقل لأبيها ما صنعت بنفسك وجهت أبناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب لو قد استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك فوجه اليه الملك بحلة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها انتفط جلده وتساقط لحمه فنظر

الى جبل فسأل عنه فقيل له اسمه عسيب فقال

أجارتنا ان المزار قريب * وانى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقيل انه قال هذا لانه رأى قبرا عند هذا الجبل فسأل عنه فاخبر انه قبر امرأة من بنات ملوك الروم فمات هنالك ﴿ومما﴾ فضل به بسطام بن قيس على عامر بن الطفيل وعتبة بن الحرث بن شهاب ان بسطاما كان فارسا عفيفا جوادا وكان عتبة فارسا عفيفا بخيلا وكان عامر فارسا جوادا عاهرا فاجتمعت فى بسطام ثلاث خصال شريفة فبذلك فضلهما بسطام ﴿قال الشعبى﴾ تنافر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وعلقمة بن علاثة ابن الاحوص الى هرم بن قطبة بن سنان الذبيانى حكيم العرب فقال لعلقمة باى شئ أنت أسود من عامر قال أنا بصير وهو أعور وأنا أبو عشرة وهو عقيم وأنا عفيف وهو عاهر ﴿وانما أطاقت العرب﴾ حديث الرجال الى النساء لما كانوا يرون من النقص فى الريب ويأخذون أنفسهم بحفظ الجيران وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء والتحرز من العار لان الرجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والاخت والزوجة من حرمة لا يرى أحدهم لنفسه رخصة فى اضاعة ذلك وانما يحمل الغدر ويرخص نفسه فيه من باين البوادى وخالط الحضر لانه رأى أجناس العبيد وأخلاط العوام وقد نشؤا على عادة فجروا عليها ولن يستوى من كرم طبعه وصحت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزها عنها ولانها محظورة عليه وغير مباحة له وأحب شئ الى الانسان ما منع منه فترك الاول طبع وترك هذا تكلف وأما العوام وأخلاط الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم ولا يستحيون من عار وهم أكثر العالم غدرا ﴿قال المسيح عليه السلام﴾ لا يزنى طرفك بما غضضت بصرك ﴿ونظر﴾ أشعث الى ابنه يوما وهو يديم النظر الى امرأته فقال له يابنى أظن نظرك اليها قد أحبلها أخذ هذا بعض الشعراء

فقال

فقال   ولي نظرة لو كان يحبل ناظر * بنظرته أنثى لقد حبلت مني

(مرت امرأة) بقوم من بني نمير فرشقوها بأبصارهم وأداموا النظر إليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ولا بقول الشاعر

فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا (وكان يقال) أربع لا يشبعن من أربع عين من نظر وأذن من خبر وأرض من مطر وأنثى من ذكر (وقال إسحق بن عيسى) رأيت رجلا في طريق مكة وعديله في المحمل جارية قد شدت عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له في ذلك فقال إنما أخاف عينيها لا عيون الناس (وكان) عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها فغطت شعرها فحلقت شعرها وقالت لا يصحبني شعر نظر إليه غير ذي محرم مني (وقال رجل لأعرابي) ما الزنا عندكم قال النظرة والقبلة قيل له ليس هذا الزنا عندنا قال وما هو قال أن يجلس بين شعبها الأربع ثم يجهد نفسه قال بأبي أنت ليس هذا زانيا هذا طالب ولد (وقيل لأبي الطمحان القيني) أخبرنا عن أقبح ذنوبك قال ليلة الدير قيل وما ليلة الدير قال نزلت على نصرانية فأكلت طفشلا بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت (وقال الجاحظ) قرأ قارئ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فقال إبراهيم بن عزوان لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة أما والله لو عرست بي ما استعصمت (وبات أعرابي) ضيفا لبعض الحضر فرأى امرأته فهم أن يأتي إليها في أول الليل فمنعه الكلب ثم أراد ذلك مرة أخرى فمنعه ضوء القمر ثم أراد ذلك في السحر فإذا عجوز قائمة تصلي فلما رأى ذلك قال

لم يخلق الله شيئا كنت أبغضه * غير العجوز وغير الكلب والقمر
هذا يبوح وهذا يستضاء به * وهذه سمجة قوامة السحر

﴿ووصف أعرابي﴾ رجلا ماجنا فقال والله لو أبصرته عيدان القيان لتحركت أوتارها ولو رأته موسوسة لطار خمارها ﴿وحكى خريدة بن أسماء﴾ قال حججنا ونحن في رفقة اذ نزلنا منزلا ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لا تضرها بشيء فلم يجترئ أحد منا ان ينحيها عنها فلم تزل كذلك حتى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا ورأى الغريض المغني المرأة وقد سمع الحديث وما حكاه الناس عنها فقال لها يا شقية ما فعلت حيتك قالت في النار قال ستعلمين من في النار قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى اذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها فلما تأملت المرأة عرفتها ثم صفرت الحية فاذا الوادي يسيل علينا من جنباته حيات فنهشتها حتى بقيت عظاما ونحن نرى ذلك ثم انصرفنا جميعا فقلنا للجارية التي معها ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة فقد والله رأينا منها عجبا قالت نعم بغت ثلاث مرات تلد في كل مرة غلاما فاذا وضعته سجرت تنورا ورمته فيه وتكتم خبره قال فقلت سبحان الله ما أعجب هذا وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار فزادنا ذلك تعجبا منها ﴿وقال أحمد بن يحيى﴾ كان مرثد عم عمرو بن قميئة الشاعر عنده امرأة جميلة وكان قد كبر وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم وكان عمرو بن قميئة شابا جميلا وكانت أصابع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين فخرج مرثد يرمي بالقداح فأرسلت امرأته الى عمرو بن قميئة ابن عمك يدعوك فجاءت به من دبر البيوت فلما دخل عليها لم يجد عمه فأنكر أمرها فراودته عن نفسها فقال لها لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي يدعى لمثل هذا قالت لتفعلن ما أقول لك أو لأسوءنك قال الى المساءة دعوتني ثم انه قام فخرج وأمرت بجفنة فكبت على أثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها ما لك قالت ان رجلا من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت

قال

قال ومن هو قالت أما أنا فلا أسميه ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة فلما رأى الاثر عرفه فاعرض عنه وجفاه ولم يزده على ذلك وكان أعجب الخلق اليه وعرف ابن قمية ذلك وكره ان يخبره فقال

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة * تؤامرني شرّا لاصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أخمدا
وقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع في لومي مرارا وأصعدا
على غير ذنب ان أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وبلغت الابيات مرثدا فكشف عن الامر حتى تبين له فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه ﴿وذكر هشام بن محمد الكلبي﴾ عن الحصين بن لبيد قال كان الحطيئة نازلا في بني المسند من بني ضبة فرأى لبنة بنت قرطة أخت العلا وكانت فاسدة فاعجبته فكلمها فاجابته فوقع عليها فحملت منه ثم ارتحل الحطيئة فلما بان حملها زوجها العلا بن غالب ابن صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب اليه ففي ذلك يقول جرير بن الخطفى

كان الحطيئة جار أمك مرة * والله يعلم شأن ذاك الجار
لا تفخرن بغالب ومحمد * وافخر بعبس يوم كل فخار

قال وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فأكرمه وأحسن ضيافته فبلغه انه زان فاراد ان يختبر ذلك فقال لجارية له انطلقي الى الفرزدق وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق فاتته الجارية بالغسل والدهن وذهبت لتغسل رأسه فوثب عليها فركضته وقالت لعنك الله من شيخ ثم خرجت فاتت عمر فاخبرته فنفاه من المدينة وقال جرير

نفاك الاغر ابن عبد العزيز * وحقك تنفى من المسجد

﴿فقال الفرزدق﴾

فاوعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت بهلكها ثمود

﴿ودخل﴾ الفرزدق يوما على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فقال أنشدني يا أبا فراس فأنشده قصيدته حتى بلغ الى قوله

خرجن الي لم يطمثن قبلي * فهن أصح من بيض النعام

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان ما أظنك يا أبا فراس الا قد احللت نفسك أقررت عندي بالزنا وأنا امام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال يا أمير المؤمنين ما أحللت نفسي ان كنت تأخذ بقول الله وتعمل به قال سليمان فبقول الله نأخذ عليك الحد قال الفرزدق فان الله يقول والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وأنا يا أمير المؤمنين قلت ما لم أفعل فتبسم سليمان وقال تلافيتها يا أبا فراس ودرأت الحد عن نفسك وخلع عليه وأمر له بجائزة ﴿قال أبو عبيدة﴾ هوى أبو العباس الاعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها فقال لها اطمعيه فاطمعته ثم قال ارسلي اليه فلما أتت فأرسلت اليه فأتاها وجلس زوجها الى جانبها فقال لها أبو العباس انك وصفت لنا فأمسسينا فأخذت يده فجعلته على اير زوجها وقد أنعظ فنتر يده وعلم انه قد كيد فخرج من عندها وقال

أنيتك زائرا فوضعت كفي * على اير أشد من الحديد

على أليه ما دمت حيا * أمسك طائعا الا أعود

فخيرمنك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعود

﴿وكان بشار الاعمى﴾ يرتع فبلغ امرأته ذلك فعاتبته مرارا فخالفها وانها سألت عن المكان الذي يمضي اليه فدلت على امرأة تجمع بين النساء والرجال فبذلت لها شيأ وسألتها اذا جاءها بشار ان تبعث اليها ففعلت وقالت أبشار قد وقعت اليوم امرأة من أجمل النساء ووصفتها له فطرب اليها فلما خلا بها وخالطها ضربت بيدها في لحيته وشتمته وقالت أين أنت يا ذاك الفاجر فقال لها لعنك الله الا تركتيني حتى أقضي حاجتي فوالله ما رأيت أبرد منك حلالا ولا أطيب منك حراما ﴿قال اسحق بن ابراهيم﴾

كان

كان مخارق يهوى الهارجارية أم جعفر وشغفبها حتى أفضى غايته في حبها فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة وقد عمل الشراب فيه وأم جعفر جالسة في دارها على دجلة اذ رفع عقيرته يغني شعر عباس بن الاحنف

ان يمنعوني ممري قرب داركم * فسوف أنظر من بعد الى الدار
ماضر جيرانكم والله يكلؤهم * لولا شقائي اقبالي وادباري
لا يقدرون على منعي وان جهدوا * اذا مررت وتسليمي باجهاري

فسمعت أم جعفر صوته فأمرت خدامها فصاحوا عليه فقدم وصعد اليها فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وقالت لجواريها اضربن معه فكان أول ما تغنى به

أغيب عنك بود لا يغيره * نأي المحل ولا صرف من الزمن
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا * وان أمت فبطول الشوق والحزن
قد حسن الحب في عيني ما صنعت * حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

قال فاندفعت الهار تبار به في الصوت وتغني

تعتل بالشغل عنا لا تكلمنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فضحكت أم جعفر وقالت ما رأيت ولا سمعت قط باحسن من هذا ووهبت له الجارية فاخذها وانصرف * قال ابراهيم بن الخطيب * حدثني مخارق قال كنت عند الرشيد فلما أراد الانصراف قال لي يا مخارق بكر علي فقلت نعم يا أمير المؤمنين فلما أصبحت بكرت أريد ما ذكره فاذا جارية راكبة وهي أحسن الناس عينين في النقاب فنظرت اليها ونظرت الي فلم أملك نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي فقلت لغلماني اذا كان المغرب فصيروا الي فاذا كنت في الدنيا خرجت اليكم واذا كنت مت فقد قضيت وطرا قال واقتحمت ودخلت الدار فاذا جماعة مجتمعون وقد أحضروا طعاما فأكلت معهم وأحضر الشراب وغنت الجارية فاذا هي أحذق الناس وأطيبهم فغنيت فقال المعبدي ما أحسنه

وأبهاه فمن هو فقال له القوم ما نعرفه فقال ما أظرف هذا يدخل منزلي بغير أمري ابعثوا الى صاحب الشرطة وكل ذلك بسمعي قالت الجارية يامولاي لا تفعل لعل له عذرا فجيء بي فوهب لي جرمه فقدرحمته واحسب ان هذه صناعته قال فطابت نفسي فلما خرجت قال لي بافي تغني فقلت نعم فغنيت فطرب القوم وقال المعيدي ان كان في الدنيا مخارق فانت هو قلت نعم أنا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس وأقبل يكتب ويعود اليه الجواب ثم وزن مالا ووجه به فلما كان بالعشي قال ياغلام هات تلك العتيدة فاحضر عتيدة مملوءة طيبا وقال هات ذلك التخت فأحضره اياه فقال أتدري ما نحن فيه قلت لا قال قد اشتريت تلك الجارية بأربعين ألف دينار وهذه عتيدة فيها طيب وتخت ثياب فأخذت بيدها وانصرفت بها عروسا فلما أصبحت بكرت على الرشيد فقال لي يا ابن الفاعلة أين كنت فحدثته الحديث فسر به وقال ماتوهمت ان في أهلي مثل هذا وأمر من ساعته ان يحمل اليه أربعون ألف دينار ﴿وكان ليوسف بن القاسم﴾ وهو أبو أحمد بن يوسف وزير المأمون غلام أسود متأدب نشأ في الاعراب فهوي جارية لرجل قرشي فشكاه القرشي لمولاه فضربه وحبسه وحلف ان لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فقيل له ويحك أتحبك كما تحبها فقال

كلانا سواء في الهوى غير انها * تجلد أحيانا ومابي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنوني عليها حين أنهى وأوعد

فبلغ مولاه شعره فقال وان فيه لهذا الفضل فركب من وقته الى القرشي وقال له أسألك ان تهبني هذه الجارية باي ثمن شئت فقال ما أفعل حتى أعرف السبب في ذلك فعرفه الخبر وأنشده البيتين فقال أشهدك انى قد وهبت له الجارية وانا أعطي لله عهدا ان أخذت لها ثمنا بعد الشفاعتك وأدب الغلام ووجه الجارية معه فدفعها الى الغلام ﴿قالوا﴾ كان المتوكل جالسا يوما في القصر الذى يقال له المختار اذمر خادم أسود لفتيحة مبادرا

يريد الدخول الى دار النساء فسقط منه كتاب مختوم فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فاذا فيه مكتوب

أكثرى الخوف فى الكتاب وتحبسه * بريق اللسان لا بالبنان
ومرى الختام فوق شبابا * ك العذاب المفلجات الحسان
انى كلما مررت بحرف * فيه محو لطمته بلسانى
فأراها تقبيلة من بعيد * أهديت لى وما برحت مكانى

فقال يا فتح ماترى لقد اجترأ على من كتب هذا الشعر على بالخادم فأتى به وقد علم الخادم ان الكتاب سقط منه فطار عقله خوفا وورعا فقال له من دفع هذا الكتاب اليك وأنت آمن فان صدقت نجوت وان لم تصدق ضربت عنقك قال يا مولاى ان لولاتى قبيحة وكيلا يتصرف فى أمرها من أبناء البرامكة وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة وأنا أسعى بينهما بالكتب التى يتكاتبان بها فقال له امض بلا خوف عليك ثم قام المتوكل فدخل على قبيحة وقال لها خذى فى أمر جاريتك نسيم الكاتبة فانى قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم وأمر باحضار الوكيل فقال له هل لك فى نسيم فذهب عقله وطار قلبه وخاف خوفا شديدا فقال له تكلم وأنت آمن فقد زوجتك بها وأمهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تولم بها وسأل قبيحة تجمل زفافها اليه ففعلت (وحكى) الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان وكان يحبها ويحبها حبا شديدا فغضبت عليه فطلب رضاها بكل أمر فأبت حتى أضر به ذلك وشكاه الى خاصته فقال له عمر بن الاسدى مالى ان أرضيتها قال له حكمك قال فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكى فقالت له حاضنها مالك يا أبا حفص قال قد جئت الى بنت عمى فى أمر مهم عظيم فاستأذنى لعلها تقضى حاجتى فقالت مابالك فقال لها قد عرفت حالى مع أمير المؤمنين عبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فتعدى أحدهما على الآخر فقتله فقلت

أنا ولي الدم وقد عفوت فقال أمير المؤمنين ما أحب ان أعوّد رعيتي هذا وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله الا كلمته فيه وسألته في ابقائه لي فان ذلك يجمعني في ذلك أحياءه واحياء نفسي فانه ان قتله قتلت نفسي فقالت ما أكلمه فقال لها ما أظنك تكسبين شيأ أحب من احياء نفسين وبكى بكاء شديدا فلم يزل بها وصواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت علي بثيابي فلبست وكان بينها وبينه باب قد ردمته فامرت بفتحه ثم دخلت فأقبل أحد الغلمان فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك رأيتها قال نعم يا أمير المؤمنين واذا هي قد أقبلت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما أقبلت ولا أتيتك والله ان عدا أحد بنيه على الآخر فقتله وهو الولي وقد عفا عنه لتقتله قال اي والله وهو راغم قالت أنشدك الله ان لا تفعل فدنت فأخذت بيده فأعرض عنها فأخذت رجله فقبلتها فأكب عليها وضمها الى نفسه ورفعها الى سريره وقال قد عفوت عنه فتراضيا وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة فدخل عمر بن بلال فقال يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة فلك حكمك فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة قال هي لك قال ومرابض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله لك وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القوّاد خدعني ﴿وروى﴾ ان معاوية ابن أبي سفيان رحمه الله رأى كاتباله يكلم جارية لامرأته فاختة بنت قريظة في بعض طرق داره فقال له أتحبها قال اي والله يا أمير المؤمنين قال اخطبها من فاختة فخطبها وكلم معاوية فاختة فأجابته فزوجها منه فدخل معاوية وبين يديها عتيدة من العطر لعرس جاريتها فقال هوّني عليك يابنت قريظة اني أحسب الاتنا كان بعدحين ﴿قال عمر بن شبة﴾ كان الاحنف بن قيس يوما جالسا مع معاوية اذ مرت بهما وصيفة فدخلت بيتا من البيوت فقال معاوية يا أبا بحر أنا والله أحب هذه الجارية وقد أمكنتني منها ولا الحياء من مكانك فقال الاحنف فأنا أقوم قال بل

مجلس

تجلس لئلا تستريب بنا فاطمة فقال الاحنف شأنك فقام معاوية اليها فبيناهو يناجيها اذ خرجت بنت قريظة فقالت للاحنف يا قواد أين الفاسق فأومأ الاحنف الى البيت الذى هو فيه فاخرجته ولحيته فى يدها فقال لها الاحنف ارفقى بأسيرك رحمك الله فقالت يا قواد وتتكلم أيضا فقال معاوية يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام ﴿قال ابن شبة﴾ كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء من أحسن الناس وكانت من هذيل وكانت رتقاء فتزوجها ابن عم لها فكانت حينا لا يقدر عليها الشدة ارتقاقها فابغضته بغضا شديدا فطلبت منه الطلاق فطلقها ثم انه أصاب أهل المدينة مطر شديد فى الخريف وسيل عظيم فخرج اليه أهل المدينة وخرجت صهباء مع أهلها وخرج ابن جحش وأصحاب له للنزهة فلما انتصف النهار وخلا الوادى خرجت صهباء واستنقعت فى السيل وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء فرآها وأحبها وتهالك عليها وكان بالمدينة امرأة دلالة على النساء يقال لها قطبة وكانت تداخل القرشيين بنسائهم فلقيها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال اخطبيها على قالت قد خطبها عيسى ابن طلحة بن عبيد الله وأنعم له بها أهلها ولا أراهم يتخطون عيسى اليك فشتمها ابن جحش وقال كل مملوك لى حر لوجه الله ان لم تحتالى فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضربة بالسيف وكان مقداما جسورا ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء ما باله فارقها فاخبرتها خبره فاصغت الى عمتها فقالت لها وأسمعت صهباء أما والله لو كان ابن جحش لنقبها نقب اللؤلؤة ثم خرجت من عندهم فأرسلت اليها صهباء ان مرى ابن جحش فليخطبنى فلقيت قطبة ابن جحش فأخبرته بالخبر فخطبها فأنعمت له وأبى أهلها الا عيسى بن طلحة وأتت صهباء الى ابن جحش فتزوجها وافتضها من ساعته وفيها يقول

دار لصهباء التى لا ينثنى * عن ذكرها أبدا ولا ينساها

صفراء يطويها الضجيع لطافة * طي الحمالة لينا متناها
نعم الضجيع اذا النجوم تغورت * بالقرب أخراها على أولاها

﴿وقالوا﴾ كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة في ليلة من شهر رمضان في المسجد يصلي اذ عرض له في منزله بعض الامر فانصرف من التراويح فأصاب بابه مفتوحا واذا رجل مع ابنته في مخلها يحدثها فأخذ بيده وذهب به الى منزل ابن أبي عتيق فدق عليه فأشرف عليه فقال أردت ان أكلمك جعلت فداك قال فانحدر اليه فقال له ان هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا ﴿﴾ ألته فزعم انه ابنك فأقبل ابن أبي عتيق فأخذ بيد التاجر فشكره وجزاه خيرا وقال لن يعود الى شئ تنكره أبدا ان شاء الله فأخذ الفتى فشكره وشتمه فلما ولى الرجل قال للفتى من أنت ويلك قال أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر وقد خلت عليها في هذه الليلة أتحدث عندها فما راعني الا انه واقف على رأسي فلم أجد ملجأ الا ان اعتزيت اليك لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك قال اخبرني عن الجارية أتعجبك قال نعم قال فهل يمكنك أن تأتي بها الى منزلي هذا قال نعم قال فعدها وائت بها وأمر غلاما له وقال اذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هذا الفتى فأدخلها واجلس أنت مع الفتى وأرسل الى من دعاني ففعل الفتى وأتى بالجارية الى المكان وأرسل الى ابن أبي عتيق يعرفه فأرسل الى أبي الجارية انك قد اصطنعت الى فتانا يدا وقد أحببنا ان نصنع اليك مثل ذلك في فتاتكم فادخله عليها فلما رآها استرجع فقال له ابن أبي عتيق ماهذا أهون عليك هذا الامر واقبل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الحقوا النساء بأكفائهن ان هذا الفتى ليس والله لي بولدي ولكن هو قد انتسب الى لما أدركه من الحياء منك وهو فلان بن فلان التاجر وهو من نظرائها وأكفائها فهل لك ان تزوجها اياه وأصدقها عنه من مالي مائة دينار قال له نعم ولم يبرحوا حتى زوجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده وسأله التعجيل بزفافها اليه ﴿وحكي﴾ عن ابن أبي

ورقاء الجبلي قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما صرت بأول مرحلة
نزل غلماننا ففرشوا بسطهم وهيئوا غداءهم ونزلت ولم يجئ أحد بعد
فرمانا الطريق برجل حسن الهيئة فاره البرذون فصحت بالغلمان
فأخذوا دابته ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وجعلت لا أكرمه
بشئ الا قبله وكنا كذلك ساعة اذ جاء غلمانه ثم تناسبنا فقال الرجل أنا
طريح بن اسمعيل الثقفي فلما ارتحلنا كنا في قافلة لا يدرك طرفيها فقال
لي طريح ما حاجتنا الى زحمة الناس وليست بنا اليهم وحشة ولا مخافة
فأخرنا بعد القوم فنزلنا الى جانب نهر مظلل بالشجر فتغدينا ثم قمنا الى
النهر نستنقع فيه فلما نزع ثيابه اذا آثار داهية في جنبيه يلج فيها الكف
فوقع في نفسي منه شئ فنظر الي وفطن وتبسم وقال لي قد رأيت عجبا
منك لما رأيت ما بي وأنا أحدثك حديثه اذا سرنا العشية فلما ركبنا قلت له
الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وما فيها وركبت الى
يوسف بن عمر ومع قرابتي منه فلا يدي فخرجت من عنده الى الطائف
فلما اشتد بي الطريق وليس يصحبني فيه خلق عنّ لي اعرابي على قعود له
وهو حسن الحديث قد روى الشعر وأنشد لنفسه فقلت له من أين
أقبلت قال لا أدري والله قلت فالى أين يممت قال لا أدري والله قال فقلت
فما قصتك فقال أنا عاشق بجارية من قومي قد أفسدت عيشي وتلفت
فانا أستريح بأن أتحدر في الطريق مع منحدريه وأصعد مع مصعديه قال
فقلت له وأين هي قال غدا تنزل بازائها وأخذ يحدثني بحديثه معها فلما
جئنا الى الموضع قال لي انزل ذلك المكان فانها عنده منقطعة فأدركتني
أريحة الحداثة وأخذت منه علامة ما بينهما وقصدت حيث أشار لي فاذا
بيت جديد عن الطريق واذا امرأة جميلة حديثة ظريفة فذكرته لها
ووريت برسالته وأمارته فزفرت زفرة كادت تفتت أضلاعها قالت
أوحي هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بائتون
ومصطبحون قالت فاني أرى لك وجها يدل على الخير فهل لك في الاجر

وقالت فقير اليه قالت فالبس ثيابي وادخل في أريكتي ودعني حتى آتيه فانك تحيي نفسين وتغنم أجراعظيما قلت أفعل ما تريدين قالت انك اذا أصبحت أتاك زوجي في هجعته فقال يا فاجرة قاوسعته شتما فاوسعه صمتا ولا تجبك انك سمعته فانه يقول في آخر كلامه اقبي سقاك يا عدوة فضع القمع في هذا السقاء الآخر فانه منخرق قال وصمت بجاعز وجها فعملي ما قالت وقال اقبي سقاك فخبرني الله ان تركت الصحيح وقعت الواهي فاشعر الا واللبن يتسيب بين رجليه فعمد الى زاوية البيت فتناول حبلا ثم ثناه على اثنين فصار على ثمان فجعل لا يتقي به رأسا ولا وجها ولا جنبا فخشيت ان يبدو له وجهي فألزمته الارض فعمل بجنبي وظهري ماترى ومضى عني فلما كان الصباح جاءت فرأت ما حل بي من الشر فاكبت علي وقالت بابي أحييت نفسي بقتل نفسك ودخلت تعتذر وتتلهف لما بي وتدعو لي وتتضرع فأخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرها عندي شيء (قد قدمنا في اخبار قيس بن ذريح) كيف كان سبب تطليقه لبنى وندمه عليها حتى ساءت حاله وتلف عقله واشتد مرضه وأشرف على حتفه فقال أهله لو زوجتموها اليأس منها وسلاعنها فطهار جل من قريش وحكم أباها في المهر فزوجه اياها فحملها معه الى المدينة فقال قيس

وقالوا تراها فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق

فليت وبيت الله انى عصيتهم * فانبت في رضوانها كل موثق

وكلفت خوض النار سبعين حجة * وكنت على اثباج بحر مغرق

كأني أرى الناس المقيمين بعدها * نقاعة ماء الحنظل المتفلق

وتنكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

﴿قال﴾ وخرج ابن أبي عتيق يريد العمرة فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه فقال دلوني عليه فدلوه فلما رآه قيس أقبل عليه ورحب به وقال من أنت حياك الله وعافاك قال فانتسب له ابن أبي عتيق وقال له بين حديثك

لي

لي تجدني معيناً لك على أمرك ان شاء الله فاستحيى قيس من ذلك وامتنع ساعة ثم جعل يحدثه حتى بلغ الى خبر القرشي فقال يا هذا اني خرجت من منزلي أريد العمرة التماساً للثواب وقد عزمت عند ما سمعت ان أترك ما خرجت اليه فأرجع معك احتساباً للأجر وبكر فامض معي أيها الرجل واكتم شأنك ولا يعلم أحد من أهلك فحمله معه وأقبل راجعاً نحو المدينة فاستقبله أهله واخوانه يسألونه عن سبب رجوعه فجعل يعتذر وهو يقول لهم عاقني عن ذلك عائق وأخفى قيساً في منزله أياماً ثم سأل عن منزل القرشي فدل عليه فبعث مولاة له عجوزاً الى لبنى تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها فقالت يعز علي وما حيلتي له أطاع أباه وفارقني في غير جرم وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لي على نفسي وان كبدي عليه لحرى وان عيني لعبرى مذ فارقته وانهما الماء علت بكائه اشتد ولهها حتى أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيئاً تنكره فجعلت لا تجيب جواباً وجعل يعتذر اليها فقال لها أما أراك الا ذكرت قيساً فقالت له هيهات وأين أنا من قيس وأين قيس مني اله عن هذا الحديث قال وبلغت العجوز ابن أبي عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها عودي اليها فقولي لها ان كنت على العهد فانك ستصلين الى ما تريدين قالت اي والله لا أزال على عهده مقيمة أو يفارق روحي جسدي ولا أكافئه بسوء فعل كان منه الي قال وأقبل ابن أبي عتيق ومعه جماعة من أشراف قريش وغيرهم حتى أتوا منزل القرشي زوج لبنى فأكبر مجيئهم فقالوا انا جئناك في حاجة ولا سبيل الى ردنا عنها قال لهم قضيت حاجتكم قال ابن أبي عتيق كائنة ما كانت قال له نعم قال فان حاجتنا ان تجعل أمر لبنى في يدي قال القرشي وهل رأيت أحداً سأل مثل هذا قال فهي حاجتنا وقد جئت اليها قال فاني قد فعلت قال فيشهدون عليك ان أمرها في يدي قال نعم قال ابن أبي عتيق فاشهدوا انها طالق ثلاثاً قال قد أجزت قال فابرحوا حتى نقلها ابن أبي عتيق الى منزله فلما انقضت عدتها زوجها من قيس

وأصدقه عنه وجهزها بأحسن جهاز وحملها معه الى منزله فمالبثت عنده الا يسيرا حتى نهشته الافعى كما قدمنا في حديثه فمات وماتت بعده هكذا رواه أحمد بن أبي طاهر ولست أدري صحة هذا الحديث لانا كنا قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من انه لم يتزوج بها ثانيا ﴿وحكى﴾ الهيثم ابن عدي عن الكلبي قال كان ملك النعمان ابن المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه وذلك انه ركب يوما فنظر الى امرأة خارجة من الكنيسة فأعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال علي بعدي بن زيد وكان كاتبه وخاصته فقال له ياعدي قد رأيت امرأة لئن لم أظفر بها انه هو الموت فلابد في ان تتلطف في الجمع بيني وبينها قال ومن هي قال قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف رجل من أشراف أهل الحيرة قال فهل أعلمت بذلك أحدا قال لا قال فاكتمه فاذا أصبحت فجد بكل كرامة لتريد حكم بن عوف فلما أذن للناس بدأ به وأكرمه وأجلسه معه على سريره فأعجب الناس حاله وتحدثوا به فلما أمسى فأذن للناس بدأ به فأكرمه وأجلسه معه وكساه وحمله ففعل به ذلك أياما ثم قال له عدي أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق أدناهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال له ياحكم اني قد طلقت فلانة لك فتزوجها فقال حكم لعدي ماصنع الملك بأحد ماصنع بي ولا أدري بما أكافئه فقال عدي طلق امرأتك كما طلق امرأته ففعل وحظي عدي بها عند الملك وعلم الرجل انه مكر به في امرأته وفيها يقول بعض أهل الحيرة

ما في البرية من أنثى تعادلها ❋ الا التي أخذ النعمان من حكم

(وحدث الزبير) انه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود وكان عاشقا لجارية من قومه تسمى ريا بنت الركين فتزوجها رجل منهم يقال له دهيم فأبت ريا الاحب عمرو بن عود وأبى الا حبها وقول الشعر فيها والوجد بها فخرج زوجها بها حتى أتى اليمن فنزل في بني الحارث بن كعب فطلبها عمرو فخفي عليه أمرها ولم يعلم لها خبرا ولا موضعا فمكث حينا لما به يبكي له

من عرفه لولهه وشدة ما أصابه فخرج به أهله الى مكة لعله يتعلق باستار الكعبة عسى ان يرحمه ربه ويذهب ما في قلبه من حبها فلما كان بمنى نظر اليه فتى من بني الحرث بن كعب فتعجب من شبابه وجلس يتحدث معه وسأله عن حاله فشكى اليه عمرو وجده بها وأنشده ما قال فيها فرق له الفتى ورحمه وسأله عن صفتها وصفة زوجها فوصفهما له فقال له الفتى عندي خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين فلما خر عمرو ساجدا ثم سأله عن حالها فأخبره انها سالمة وانها باكية حزينة لا يهنيها شيء من العيش قال عمرو فهل لك في صنيعة عندي فقال له الفتى اذن افعل ما بدا لك قال تتخلف عن أصحابك وأتخلف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منهم علم ثم أمضي معك متنكرا حتى تخفيني في موضع ثم تعلمها مكاني قال الفتى لك ذلك في عنقي فلما كان النفر تخلف كل واحد منهما عن أصحابه فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلف وان يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا ثم مضيا حتى وصل به الفتى فادخله مع أخته وامرأته في سترها ومضى الى ريا فأخبرها فكانت تجيء اليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء ويتحدثان فاستراب زوجها اغشيانها ذلك البيت ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله واستراب أيضا تطييب نفسها واتيانها البيت كما كانت وخرجت رفقة الى حران فأخبرها انه خارج معهم فخرج وأقام ليلتين مختفيا في موضع وأقبل راجعا في الليلة الثالثة وقد أمناه وظنا انه قد خرج وأتى عمرو الى ريا فبسطت له بساطا قدام البيت وتحدثا حتى غلبهما النوم وهي مضطجعة الى جانب البساط وعمرو الى الجانب الآخر وأقبل الرجل حتى وجدهما على تلك الحال فنظر في وجه عمرو فانتبه فزعا فقال له ويلك يا عمرو وما ينجيني منك بر ولا بحر فقال يا ابن عمي ما أنا والله على ريبة ولا يسألني الله عن أهلك عن قبيح ولكن نشأت أنا وهي وألفتها ونحن صبيان ولست أستطيع عنها صبرا وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذي ترى قال أما أنا فلم أهرب الى هذا البلد الا منك فانصرفا راجعين

وهي معهما حتى قدما على وطنهما فأقاما وهما على تلك الحالة فمات عمرو وجدا بها وكانت لا تزال باكية عليه حتى ماتت بعده بيسير ﴿حكى﴾ سنة ابن عقال عن الشعبي قال حدثني رجل من بني أسد قال اني لذات يوم في الحي اذ أقبل فتى نظيف الثوب حسن الوجه حتى وقف بي فقال يا فتى هل نزل بك حي من بني عذرة قال قلت نعم وتلك بيوتهم قال وهل أحسست لي بكرة صفتها كذا وكذا قال قلت لا فنزل ثم قال أأنت منشدها لي في أبيات الحي قال فخرجت وأنا أنشدها حتى مررت بالبيوت وأنا أنشد فقالت لي جارية عند الاكمة فأشرفت على الاكمة فلم أر شيأ فأخبرته فأخرج سفرة معه ودعاني فأكلنا ثم نام وجعلت أراعيه حتى ظن أني قد نمت فأخرج حلة من رحله فلبسها ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى أتى الاكمة وأنا أتبعه من حيث لا يراني فاذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها يا بثينة قلت فيك كذا وقلت فيك كذا ولم يزل يحدثها وينشدها وتحدثه حتى اذا كان في السحر وضع رأسه في حجرها فنام ساعة فلم يشعر الا بالفجر قد برق فقالت قم يا جميل لا يفضحنا الصبح قال فرجعت مبادرا حتى رميت بنفسي في الرحل وجاء فأيقظني ثم عمد الى ثوب من ثيابه فكسانيه فلم يزل جميل يغشاني في كل نهار وليل فأصير الى الحي وآتيه فآخذ ميعاد بثينة الى موضع يجتمعان فيه ويتحدثان الى ان فطن بعض الحي بأمري فقالت لي بثينة انج بنفسك فان الحي قد شعروا بك وقل لجميل موعدك وسكن البطن (١) وأتيته وأخبرته فمضى وانقطع عني خبره ﴿وروى﴾ عن يحيى بن خالد بن برمك قال كنت أهوى جاريتي دنانير وهي لولاتها زهراء فلما وضع المهدي الرشيد في حجري اشتريتها فلم أسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وعلقتها فما لبثت الا يسيرا حتى وجه المهدي ابنه الرشيد غازيا الى بلد الروم فخرجت معه فعظم علي فراقها وأقمت لا أتهنأ بطعام ولا بشراب

(١) اسم موضع خارج المدينة قاموس

صبابة

صبابة بها وذكراً لها فانا ليلة في مضربي وقد أصابني برد شديد وثلج كثير وأنا أتقلب على فراشي أذكر الجارية اذ سمعت غناء خفياً وصوت عود بالقرب مني فأنكرت ذلك وجلست على فراشي فأسمعني الصوت من غير ان أفهم حتى أبكاني فقمت ولم أوقظ أحداً من العسكر حتى انتهيت الى خيمة صغيرة من خيام الجند واذا فيها سراج فدنوت منها فاذا فتى جالس واذا بين يديه ركوة فيها شراب وفي حجره عود يضرب ويتغنى بهذا الصوت

ألا يا لقومي أطلقوا غل مرتهن * ومنوا على مستشعر الهم والحزن
ألم بها بيضاء رود شبابها * لطيفة طي البطن كالشادن الأغن

قال فكلما غنى بيتاً بكى وتناول قدحاً فصب فيه من ذلك الشراب وشرب ثم يعود الى مثل ذلك قال فأقمت طويلاً أرى ما يفعل وأبكي لبكائه ثم سلمت فرد السلام واستأذنت فأذن لي فدخلت فلما رآني أجلني وأوسع لي فقلت يا فتى تخبرني بخبرك وما أنت فيه وما سبب هذا البكاء قال أنا فتى من ٢ الأبناء لي ابنة عم قد نشأنا جميعاً فعلقتها وعلقتني ثم بلغنا فحجبت عني فسألت عمي ليزوجنيها فأجاب فكنت حيناً أحتال لمهرها حتى تهيأ فأديته ودخلت بها فلما ان كان يوم سابعها ضرب على البعث وخرجت وبي من الشوق اليها ما لا أحده فحملت معي هذا العود فاذا أصبت شراباً في بعض هذه القرى أخذت منه شيئاً ثم أفعل ما ترى تذكاراً لها فقلت فهل تعرفني فأنكرني فلا أدري أتعمداً أم حقيقة قال فقلت له أنا يحيى ابن خالد فلما قلت له ذلك نهض قائماً فقلت اجلس فاذا كان غداً فالقني فهذا مضربي بالقرب منك فاني أصير منك الى ما تحب قال ووافق ذلك رسولاً قد هيأناه الى المدينة فما كان أسرع شيء حتى دنا الصبح وتهيأ الناس للرحيل فأول من لقيني ذلك الفتى فأثبت وجهه فقلت له من أنت وفي قيادة من أنت فخبرني فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعي المؤامرات فكنت آمرها على شيء من عنوان يكون له فيها فقلت وفتى من الأبناء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة آلاف درهم

٢ هم قوم من العجم سكنوا اليمن اه قاموس

معونة له ويصحب فلانا الرسول ففعل ذلك وانصرف الى أهله ﴿حكى﴾ ابراهيم بن اسحق الموصلي عن أبي السائب المخزومي قال تعشق العرجي امرأة من قريش فجعلني رسولا اليها فأتيتها برسالته وأخذت موعدها لزيارته الى موضع سماه ثم بكرت أنا فأتيت على أتان ومعها جاريتها وجاء على حمار ومعه غلام فتحدثنا ساعة ثم قمت عنهما فوثب عليها ووثب الغلام على الجارية والحمار على الاتان وقعدت أسمع النخير من كل ناحية قال فقال لي العرجي يا أبا السائب هذا يوم غابت عواذله قال أبو السائب فالى حسبة أرجو ثوابها رجائي لذلك اليوم وثوابه ﴿وقال﴾ كان عمر بن أبي ربيعة يتعشق امرأة يقال لها أسماء فوعدته أن يزورها فتهيأ لذلك يوما فأبطأت عليه فنام فلم يلبث ان جاءت ومعها جارية فضربت الباب فلم يستيقظ فانصرفت وحلفت أن لا تأتيه حولا فقال عمر فيها قصيدته التي أولها

طال ليلي وتعناني الطرب * واعتراني طول هم ونصب
أشهد الرحمن لا يجمعنا * سقف بيت رجبا حتى رجب
فيقتنا طبية عاتبة * تخلط الجد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها * وتراخي عند سورات الغضب
فاجابت ناقتي وابتسمت * عن منيف اللون صاف كالذهب

فلما سمع ابن أبي عتيق هذه الابيات قال له الناس في طلب امام مثل قوادتك هذه مذ قتل على ما يقدرون عليه ﴿وقال حماد الراوية﴾ استنشدني الوليد بن يزيد شعرا كثيرا فما استعادني الا هذه الابيات وقال لي يا حماد اطلب لي مثل هذه أرسلها الى سلمى ﴿ويروى﴾ عن حماد الراوية قال أتيت مكة فجلست الى جماعة في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي واذا هم يتذكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم فقال عمر أحدثكم عن بعض وذلك انه كان لي خليل من بني عذرة وكان مشتهرا بحديث النساء فيتشبب بهن وينشدهن على انه لا عاهر الخلوة ولا سريع

السلوة

الصلوة وكان يوافي الموسم في كل سنة فاذا أبطأ ترجمت له الاخبار وولفت له الاشعار حتى يقدم فيحدث حديث محزون كئيب وانه راث أي أبطأ عني خبره ذات سنة حتى قدم وفد عذرة فأتيت القوم وأنا أنشد عن صاحبي واذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال عن أبي المهر تسل قلت نعم عنه سألت قال هيهات هيهات أصبح والله أبو مسهر لا ميؤسا فيهمل ولا مرجوا فيعلل أصبح والله كما قال الشاعر

لعمرك ما حبي لاسماء تاركي * صحيحا ولا أقضي به فاموت

قلت له وما الذي به قال لي هو مثل مولمه قلت ومن أنت يا ابن أخي قال أنا أخوه قال قلت وما يمنعك ان تركب طريق أخيك الذي ركبه وتسلك مسلكه الا انك وأخاك كالوشي والجدار لا ترفعه ولا يرفعك ثم انصرف وأنا أقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح في القوم جعد بن مهجع خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى * متى ما يقل اسمع وان قال يسمع فلا يبعدنك الله خلا فانني * سالقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان في العام الآتي وقفت في الموضع الذي كنا نقف فيه بعرفات فاذا شاب قد أقبل وقد تغير لونه وساءت هيئته فما عرفته الا بناقته فاقبل حتى اعتنقني وجعل يبكي قلت ما هذا وما دهاك وما غالك قال برح الغرام وطول السقام وأخذ يشكو الي فقلت يا أبا مسهر انها ساعة عظيمة فلو دعوت الله كنت تظفر بحاجتك فجعل يدعو حتى اذا دنت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا سمعته يهمهم بشيء فاصغيت اليه مستمعا فجعل يقول يا رب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الضحى واللوحه أنت حسيب الخطب يوم الدوحه قلت يا أخي وما الدوحة قال سأخبرك ان شاء الله فلما قضينا حجنا وأحللنا قلت له حدثني بخبرك قال نعم أعلمك اني امرؤ ذو مال كثير من نعم وشاء واني خشيت على مالي التلف فأتيت اخوالي فاوسعوا لي عن صدر المجلس فكنت في عز اخوالي فخرجت يوما

الى مالي وهو ببعض مياههم وركبت فرسي وعلقت معي شرابا أهدي الي فانطلقت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النعم رفعت له دوحة عظيمة فقلت لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروحت مبردا فنزلت وشددت فرسي بغصن من أغصانها ثم جلست وقدمت شرابي فاذا بغبار قد سطع من ناحية الحي فبدت لي ثلاث شخوص واذا فارس يطرد عنزا وأتانا فلما قرب مني اذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تنال كعبه فقلت في نفسي غلام حديث السن راكب على فرس أعجلته لذة الصيد وأخذ ثوب امرأته ونسي ثوبه فما لبث ان لحق بالعنز فطعنه ثم عطف على الاتان فقتلها ثم قال

نطعنهم سلكا ومخلوجة * كرك لامين على نابل

فقلت له انك قد تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله وشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس قريبا مني فجعل يحدثني حديثا كأنه الدر ذكرت به قول الشاعر

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

قال فبينما هو كذلك اذ نقر بالسوط على ثنيتيه فرأيت والله خلل السوط بينهما فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط قلت أخاف أن تكسرهما فانهما رقيقتان قال وهما مع ذلك عذبتان قال ثم رفع عقيرته وجعل يغني

اذا قبل الانسان من يحبه * ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فان زاد زاد الله في حسناته * مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

ثم قال لي ما هذا الذي علقت على سرجك قلت شراب أهداه الي بعض أهلي فهل لك فيه قال وما أكره منه فأتيت به فوضعته بين يديه فلما شرب منه نظرت الى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولدا فاذعرها قانص فعلم نظري فرفع عقيرته وجعل يغني

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

فقلت له من أين لك هذا الشعر قال وقع رجل منا باليمامة فانشدنيه قال ثم قمت لاصلح شيأ من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأنه وجه الشمس حسنا فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأجل صنعك قال فكيف قلت له مما راعني من نورك وبهر في من جمالك قال وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدري أينعم بعد ذلك أم لا قلت بل يصنع الله بك خيرا ان شاء الله ثم أقبل على فرسه فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع فاذا ثدي كأنه حق فقلت نشدتك الله امرأة قالت اي والله امرأة تكره العهر وتحب الغزل فقلت وأنا والله كذلك فجلست والله تحدثني ما أفقد من أنسها شيأ حتى مالت على الدوحة سكرى فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر وزين في عيني ثم ان الله عصمني فقالت ان انتبهت مرعوبة فلاثت عمامتها برأسها وأخذت رمحها وجالت في متن فرسها فقلت زوديني منك زادا فأعطتني ثوبا من ثيابها فشممت منه كالروض الممطور ثم اني قلت أين الوعد فقالت ان لي اخوة شوسا وأباغيورا والله لان أسرك أحب الي من ان أضرك قال ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا فهي التي بلغت بي هذا المبلغ وأحلتني هذا المحل قلت له والله يا أبا المسهر والله ما كان يحسن الغدر الا بك فاذا به قد أخضلت لحيته بدموعه باكيا فقلت والله ماقلت هذا الا مازحا ودخلتني له رقة فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته وحملت غلاما لي على بعير وحملت عليه قبة أدم حمراء كانت لابي ربيعة وأخذت معي ألف دينار ومطرفا ثم خرجنا حتى أتينا كلبا فسألنا عن الشيخ فاذا هو في نادي قومه فسلمت فقال وعليك السلام من أنت قلت عمر بن أبي ربيعة المخزومي قال المعروف غير المنكر فما الذي جاء بك قلت خاطبا قال أنت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه والرجل الذي لا يرد عن حاجته قلت له اني لم آتك عن نفسي وان كنت موضع الرغبة ولكن أتيتكم في ابن أخيكم العذري قال والله انه لكفء الحسب

غيران بناتي لا يقعن الا في هذا الحي من قريش فعرف الجزع في نفسي وتبين له في وجهي وقال أنا أصنع لك شيأ لا أصنعه لغيرك قلت ماهو قال أخيرها الا انك أنت تختار لغيرك فأومأ الى صاحبي ان أمره ان يخيرها فقلت افعل ثم مضى الشيخ وقد أتى وقال انها قالت ان الامر أمرك والرأي للقرشي يختار لي ما رأى فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم وقلت قد زوجت الجارية بمحمد بن مهجع وأصدقتها ألف دينار وهي هذه وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطارف فقبله وسألته ان يبني بها من ليلته فأجابني الى ذلك وضربت القبة في وسط الحي وأهديت اليه ليلا وبت عند الشيخ خير مبيت فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة فخرج الي فقلت له كيف كنت بعدي وكيف هي فقال أبدت لي كثيرا مما أخفت يوم رأيتها فقلت عليك أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت الى أهلي وأنا أقول

كفيت أخي العذري ما قد أصابه * ومثلي لاثقال النوائب أحمل

أما استحسنت مني المكارم انها * اذا عرضت اني أقول وأفعل

﴿وحكى المدائني﴾ ان رجلا من بني عقيل كان يسمى صخرا وكانت له ابنة عم تدعى ليلى وكان بينهما حب مبرح ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعة واحدة وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة ثم ان أبا صخر زوج صخرا لامرأة من الازد وصخر لذلك كاره فلما بلغ ليلى الخبر قطعته فمرض صخر مرضا شديدا فكان أهله يقولون سحرته ليلى لما كانوا يرونه يصنع بنفسه وكانت ليلى أشد وجدا به وحبا له فأرسلت جاريتها اليه وقالت لها اذهبي الى مكاننا وانظري هل ترى صخرا فاذا رأيتيه فقولي له

تعساً لمن بغير ذنب يصرم * قد كنت يا صخر زمانا تزعم

انك مشغوف بنا متيم * حتى بدا منك لنا المجمجم

قال فأتته الجارية فابلغته قولها ووجدته كالشن البالي وجدا وحزنا

فقال قولى لها

فهمت الذى عيرت والله شاهد * لما كان من رأى ولا كان من أمرى
فان كنت قد سميت صخرا فاننى * لاضعف عن حمل القليل من الهجر
ولست ورب البيت أبغى سواكم * حبيبا ولو عشنا الى ملتقى الحشر

فقالت له الجارية ياصخر ان كنت كارها التزويج أبيك لك فاجعل أمر امرأتك بيدى لتعلم ليلى انك لغيرها قال ولعهدها راع وانك كنت مكرها قال قد فعلت قالت فهى طالق منك ثلاثا وأخبرت ليلى فاظهرت من ذلك جزعا وتراجعا الى ما كانا عليه من اللقاء والجارية تختلف بينهما ولم يظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه ياصخر الا تبتنى باهلك قال وكيف وقد بانت منى فى يمين حلفت بها فاعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى

ألا بلغا عنى عقيلا رسالة * فمالعقيل من حياء ولا فضل
نساؤكم شر النساء وأنتم * كذلك ان الفرع يجرى على الاصل
أما فيكم حر يغار باخته * وما خير حر لا يغار على الاهل

قال وهجتها ليلى حتى شاع خبرهما وسعت الجارية الى أهل صخر وأهل ليلى وماهما عليه وانهما يخاف عليهما من لوم الفعل ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجها ﴿وحكى الاصمعى﴾ قال خرج المهدى حاجا حتى اذا كنا ببعض الطريق اذا اعرابى يقول ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك أنا عاشق وكان المهدى يحب ذكر العشاق وحديثهم فوكل به بعض الغلمان فلما نزل أمر باحضاره قال أنت المنادى قال نعم ياأمير المؤمنين قال له ما اسمك قال أبو مياس قال أمير المؤمنين من عشيقتك قال له ابنة عمى وقد أبى على أبوها ان يزوجنيها قال لعله أكثر منك مالا قال انا أكثر منه مالا قال له فما قصتك قال له ادن رأسك منى فجعل المهدى يضحك وأصغى اليه برأسه قال له انى هجين قال له ليس يضرك ذلك اخوة أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء قال له وأين عمك قال له على ثلاثة أميال قال فارسل

أمير المؤمنين في طلبه بغيته فقيل له ما لك لا تزوج أبا مياس فاني أرى عليه نعمة قال متاع سوء وليس مثلي يزوج مثله قال فان الذي كرهت ليس مما يعاب به عندنا وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف درهم ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم قال فذلك لك قال فخرج أبو مياس وهو يقول

ابتعت ظبية بالغلاء وانما * يعطى الغلاء بمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لأهلها * ان القباح وان رخصن غوالي

وقال سعيد الصغير كان المنتصر بالله في أيام امارته وجهني الى مصر في بعض أمور السلطان فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء فأبى مولاها ان يأخذ مني الا ألف دينار ولم تكن تحضرني ولا وجدت ان أقرضها وأزعجني الشخوص وقد علقها قلبي وأخذني المقيم المقعد من حبها فلما قدمت الى المنتصر وعرفته ما بعثني فيه سألني عن حالي وخبري فأخبرته بمكان الجارية وكلفي بها وقصتي مع مولاها فأعرض عني وصار ما يزداد ولم أملك صبرا وجعل المنتصر كلما دخلت وخرجت من عنده يذكرها ويهيج أشواقي اليها ويعيرني بقلة الصبر عنها وكان قد أمر ابن الخصيب ان يكتب الى مصر في شراها وحملها اليه من حيث لا أعلم ولا أدري فلما سارت اليه وعرضت عليه أمرها فغنت وعذرني فأمر قيمة جواريه فأصلحت من شأنها فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسني يوما وهو على فراشه فلما غنى جواريه كانت آخرهن فلما سمعتها عرفتها وكرهت ان أعلمه حتى ظهر علي ما كتمت وغلب علي الصبر فقال لي ما لك يا سعيد قلت خير أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا كنت أعلمته اني سمعته منها فاستحسنه من غنائها فغنته فقال هل تعرف هذا الصوت قلت اي والله أيها الامير فأتكون المعرفة وقد كنت أطمع في صاحبته فأما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده وجالب حتفه الى حياته قال والله يا سعيد ما اشتريتها الا لك وما يعلم الله اني رأيت

لها وجها الا الساعة التي أدخلت على وانما تركتها حتى استراحت من تعب السير وهي لك فاكببت على رجليه ودعوت له بما أمكنني من الدعاء وشكره عني من حضر من الجلساء وأمر بها فحملت الى منزلي فما أحد أحظى عندي منها ولا لي ولد أحب الي من ولدها ﴿ومن أحاديث المؤلفين﴾ ما حكاه أبو الحسن المدائني قال كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال على قبح الريب وكان من قريش ولم يذكر اسمه قال فشكا أهل مكة ذلك الى الوالي فنفاه الى عرفات فاتخذ بها منزلا ودخل مكة مستترا فلقي حرفاؤه من الرجال والنساء فقال لهم وما يمنعكم مني قالوا له وأين بك وأنت بعرفات قال لهم حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا نشهد بانك صادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة احداثهم وسفهائهم فعادوا بالشكاية الى أميرهم فارسل وراءه فأتي به فقال أي عدو الله طردتك من حرم الله عز وجل فصرت الى المشعر الاعظم تفسد وتجمع بين الخبائث فقال أصلح الله الامير يكذبون علي ويحسدونني فقالوا للوالي بيننا وبينه واحدة تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات فان قصدت داره لما اعتادت من السير اليها فالقول كما قلنا والا فالقول كما قال فقال الوالي ان في هذا لدليلا وأمر بحمير المكارين فجمعت ثم أرسلت فقصدت نحو منزله وجاءه بذلك امناؤه فأمر بتجريده فلما نظر الى السياط بكى فقال له ما يبكيك يا عدو الله قال والله أصلح الله الامير ما من الضرب جزعت ولكن يحضر منا أهل العراق ويقولون ان أهل مكة يجيزون شهادة الحمير فضحك الوالي وأمر بتخليته ﴿وقال المدائني﴾ كان مزيد يسبق الحجاج في كل عام الى الحج وكان يأتي الى المدينة في ثلاثة أيام على راحلته فتأخر مرة عن وقته الذي كان يجيء فيه لعلة أصابته وكان لامرأته صديق صواف فلما تأخر ظن الصواف انه قد مات فأقام عندها ولم يبرح وجاء مزيد فدخل على الوالي فأخبره ودنا الى منزله فلما رأى انه قرب من الباب تطلع من كوة واذا الصواف مع

امرأته فى البيت فلم يستفتح فمضى الى المخنثين فدعاهم فأتوا معه فوقفوا على بابه وأمرهم فضربوا طبولهم وزمروا فاجتمع الناس من كل ناحية فأقبلوا يقولون له يا أبا اسحق أشيء حدث فيقول لهم تزوجت امرأتى فقالوا له ما بالك وما هذه القصة فلم يخبرهم بشيء فوقف الصواف خلف الباب وقال يا أبا اسحق ادن أكلمك فدنا منه فقال اتق الله فى الفضيحة وأنا أفتدى منك قال له اردد على مهرها ونفقتى عليها فقد أفسدتها قال وكم ذلك قال خمسون دينارا فكتب رقعة الى غلامه فى السوق فبعث بها من قبض المال وجاء به فقال أى بنى تفرقوا انما كنت أمزح فقنع رأس الصواف وأنزله وقعد مع امرأته وسكت ﴿وقال أبو عثمان الجاحظ﴾ كان عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين الرجال والنساء فى منزله وكان بعض أهل البصرة يتعشق غلاما فلم يزل المخنث يتلطف له حتى أوقعه قال فلقيته من غد وقد بلغنى الخبر فقلت له كيف كانت وقعة الجعرانة فقد بلغنى خبرها قال لما تدانى الاقوام وقع الالتزام ورق الكلام والتفت الساق بالساق ولطخ باطنها بالبصاق وجعلت الرماح تمور وقرع البيض بالذكور وشفيت حرارات الصدور ومال كل واحد فاصيب مقاتل كل هجر وانعقد الوصل واتصل الحبل فلو كان قد أعد هذا الكلام لمستلقى قبل ذلك بدهر كان قد أجاد وملح ﴿وحكى﴾ محمد بن سلام عن يونس قال حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة بألف دينار وكان اسمها العالية فلما رحل بها قال الحرث بن خالد المخزومى

ظعن الامير باحسن الخلق * وغدا بلبك مطلع الشرق
وبدت لنا من تحت كلتها * كالشمس أو كغمامة البرق

قال وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال لقد هممت ان أحجر على سليمان فبلغ سليمان ذلك فأقاله وردها على مولاها فاشتراها رجل من أهل مصر من مولاها بأربعة آلاف دينار ورحل بها الى مصر وكانت فى نفس سليمان الى ان ولى الخلافة فقالت له يوما سعدى بنت عبد الله بن عمرو

ان

ابن عثمان زوجته يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه قال نعم
حبابة فارسلت سعدى رجلا الى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار
وسار بها الى سعدى فاستأذنت سليمان ان تتنزه في بستانه بالغوطة وان
يزورها اذا استزارته فاذن لها فصبغت حبابة وهيأتها وأعلمتها مكانها
من قلب سليمان وضربت له قبة وشي وفرشتها ثم أرسلت الى سليمان
تستزيره فزارها وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له يا أمير
المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه قال نعم حبابة قالت يا أمير المؤمنين
اني قد أخذت لك جارية ذكرت انها قد أخذت عن حبابة فهل لك ان
تسمعها فقال ان شئت قالت غني يا جارية فغنت سليمان صوتا كان سليمان
قد سمعه منها بالمدينة قال فلما سمعه قال حبابة ورب الكعبة فقالت هي
حبابة ولك اشتريتها فشأنك بها فقامت وانصرفت وخلاهما فكان سليمان
لا يزال يشكر سعدى على ذلك * وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى * ان عليا
عليه السلام ولى زيادا فارسا حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب
بعضهم ببعض حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر
فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بشر بن ارطاة
ابنته وكتب اليه يقسم عليه ليقتلنها ان لم تدخل في طاعة معاوية وتوفي
علي عليه السلام فكتب الى معاوية يدعوه الى طاعته وان يقره على
عمله ويستخلفه اذ كان أبو مريم السلولي شهد عنده انه جمع بين أبي
سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا وكانت سمية من الزانيات بالطائف
تؤدي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا
بالطائف فقال له كره ترك المشورة من العي فشاور زياد المغيرة بن شعبة
قال ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد أحد
اليه يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذ لنفسك وانقل أصلك
الى أصله وصل حبلك بحبله وأعر الناس منك اذنا صماء وعينا عمياء فقال
له زياد يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه في غير منبته لا أصل له

يغذيه ولا ماء يسقيه وعزم على ذلك وقبل رأى المغيرة وقدم على معاوية
فأرسلت اليه جويرية عن أمر معاوية فأتاها ودنت له وكشفت
شعرها بين يديه وقالت أنت أخي أخبرني بذلك أبي ثم أخرجه معاوية
الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال أشهد ان أبا سفيان
قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال ابغني بغيا فأتيته فقلت له
لم أجد الا سمية جارية الحرث بن كلدة فقال ائتني بها على ذفرها وقذرها
فقال زياد مهلا انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم
أعفيتموني لكان أحب الي فما شهدت الا بما عاينت ورأيت فوالله
لقد أخذ بكم درعها وأغلق الباب عليهما وقعدت فلم ألبث ان خرج علي
يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم
لولا استرخاء من ثدييها وذفر من فقها فقال زياد أيها الناس هذا الشاهد
قد ذكر ما سمعتم ولست أدري حق ذلك من باطله ومعاوية والشهود
أعلم بما قالوا فقام يونس بن الثقفي فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالولد للفراش وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان فقال
معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها هل
الا الى الله أقع قال نعم فاستغفر الله فقال ابن مفرغ ويقال انه لعبد
الرحمن بن أم الحكم ونحلها ابن مفرغ

ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد ان آلك من زياد * كآل الفيل من ولد الاتان

﴿وروى الهيثم بن عدي﴾ ان الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد
الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان المنذر بن الزبير يهواها
فبلغ الحسن عنها شيئا أنكره فطلقها فخطبها المنذر فأبت ان تتزوجه
وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته فرقى اليه المنذر بن الزبير عنها
شيئا فطلقها وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدس اليها امرأة من قريش

فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر وأعلمتها أنه قد شهر بحبها فقالت قد خطبني فآليت أن لا أتزوجه قالت ولم ذلك فوالله انه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها قالت شهرني وفضحني قالت لها فالآن ينبغي ان تتزوجيه ليعلم الناس ان كلامه كان باطلا فوقع في نفسها كلامها وجاءت المرأة الى المنذر فقالت اخطبها فقد أصلحت لك قلبها فخطبها فتزوجته فعلم الناس انه كان يكذب عليها وكان في نفس الحسن منها شيء وكان اغتاظ لما أبلغه عنها المنذر فقال الحسن يوما لابن أبي عتيق هل لك في العقيق قال نعم فعدل الحسن الى منزل حفصة فدخل عليها فتحدثا طويلا ثم خرج ثم قال لابن أبي عتيق يوما آخر هل لك في العقيق يا ابن أبي عتيق فقال له ألا تقول هل لك في حفصة فتصير اليها على علم وأسعى لك منها فيما تحب فقال الحسن استغفر الله ﴿ويروى﴾ ان عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فعشقها وأحبها حبا شديدا حتى منعته عن حضور الصلوات في جماعة فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها ففارقها فوجد عليها وجدا عظيما فأمره أن يراجعها فراجعها وكانت عنده حتى توفي عنها وكان قد أخذ عليها يمينا أن لا تتزوج بعده فجاءها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأفتاها ان تنكح فقالت لست أقبل في هذا كلامك وحدك لانه بلغها انه يريد ان يتزوجها فجاءها بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فأفتاها بذلك فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته فبعث اليها بعشرين دينارا كفرت بها عن يمينها ثم توفي عنها فخطبها طلحة بن عبيد الله فأتى الزبير ابن العوام هناد بن الاسود وكان لهناد امرأة منكرة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد قال فحلف هناد لامرأته ان هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة فانطلقت امرأة هناد لعاتكة وكانت عندها حتى اذا أتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له فديتك ومن يرد طلحة لقدمه وشرفه وسخائه

ولكن ردي رسوله اليوم فانه سيزيدك ضعفا ما أراد يعطيك فردته فقالت امرأة هناد لهناد الق طلحة فقل له اما تستحي ان عائكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك ففعل ذلك فقال طلحة لا أتزوجها أبدا فامرت الزبيران يرسل اليها فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد قد بلغك ما في حق الزبير من الشدة اما والله لو تزوجتيه ثم غلبت عليه ليكونن لك بذلك الشرف في نساء قريش ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير وسنذكر بقية خبرها في موضعه بعد هذا ان شاء الله (قال اسحق) بن ابراهيم الموصلي كان ابن زهير المدايني مخنثا وكان يؤلف بين الرجال والنساء وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من لم يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في الفتوة شيأ قال فواعد رجل صديقة له الى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة وجاء الرجل فتعشيا فقالت المرأة اشتهي نبيذا فقال صاحبها لابن زهير اطلب لنا نبيذا فقال من أين لنا النبيذ في هذه الساعة قال لا بد منه فلما ألح عليه عمد الى حنظل فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاء به فقال والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مرا فكره ان يعيبه فيكرهه اليها فشرب ثم صب فسقاها فلما صار في بطنه تحرك فقال لابن زهير أين المخرج فصمد الى ان حركها بطنها فصمدت الى ان تحرك بطنه فصمد فلم يزالا كذلك ليلتهما فقال ابن زهير امرأته طالق ان كان التقيا الا على الدرجة حتى أصبحا وهما يختلفان وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لانهما يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة (وكان) جميل أيضا المشهور في بثينة توعده أهلها فكان يأتيها سرا فجمعوا له جمعا يرصدونه فقالت بثينة يا جميل احذر القوم فاستخفى وقال في ذلك

ولو أن ألغادون بثنة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا اجاهرا * واما سرى ليل وان قطعوا رجلي

ولتقي جميل وكثير فشكا كل واحد منهما الى صاحبه انه محصور

لا يقدر أن يزور فقال جميل لكثير أنا رسولك الى عزة قال فأتهم فانشدهم ثلاث نوق سود مررن بالقاع ثم احفظ ما يقال لك قال فأتاهم جميل ينشدهم فقالت له جاريتها لقد رأينا ثلاثا سودا مررن عند بعض تحت الطلحة فانصرف جميل حتى أتى كثيرا فأخبره فأقاما فلما كان نصف الليل أتيا الطلحة فاذا عزة وصاحبة لها فتحدثا طويلا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميل جميلا وكان كثير دميما فغضب كثير وغار وقال لجميل انطلق بنا قبل ان نصبح فانطلقا ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة قال في أول الصيف وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت معها جارية ترحض ثيابا قال فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير خرجنا نزجي الحمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها فسمع مني انشادا فقال لعزة اشتميه فقالت ما أراك الا تريدان تفضحني فالح وحلف عليها فقالت مكرهة المنشد بعض بظر أمه فقلت

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

فقالت بثينة أحسنت يا كثير وقلت أبياتا لعزة أعاتبها فيهن وانشدتها

فقلت لها يا عز ارسل صاحبي * على بعد دار والموكل مرسل

بان تجعلي بيني وبينك موعدا * وان تأمريني بالذي فيه أفعل

وآخر عهد منك يوم لقيتكم * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة يا جارية ابغنا حطبا من الروضات لنذبح لكثير غريضا من البهم فراح الى جميل فاخبره ثم ان بثينة قالت لبنات خالتها وكانت لهن آنس وتطلعهن على حديثها اخرجن بنا الى الدومات فان جميلا مع كثير وقد وعدته فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة وصواحبها فما برحن حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا فهما أحسن من فهم أحدهما من صاحبه ما أدري أيهما كان أفهم ﴿قال أبو عثمان الجاحظ﴾ اذا ابتلي الرجل

بحيبة امرأة لنظرة نظر اليها ولمحة لمح منها ولم يكن بزوج مثله مثلها وكانت ممتنعة فالحيلة في ذلك ان يرسل اليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن ان تكون كتومة السر وان تكون خداعة لها معرفة بالمكر وان تكون فطنة متيقظة وان تكون ذات حرص وان تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج الى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها بان تكون اما بياعة طيب أو قابلة أو صانعة لآلة العرائس وتقدم اليها أرق وألطف ما تقدر عليه ولا تدع شيأ من الشكوى واللطف وتخبرها ان نفسه في يدها وانها ممثلة بين عينيه وأنه لا ينسى ذكرها وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه وأنه ان لم يرها نظرة أو خلوة هالك وانه لم يمنعه من خطبتها الا خشية الامتناع من أهلها ان كان دونهم في الحسب والجاه والمال وخوف التمنع منها هي أيضا فانها اذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع ان تمكنه عاجلا ان قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها فاذا شاوروها في ذلك رضيت وقد تمكن قوله من قلبها فوصل منها الى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام ﴿ وقال هرون بن المنذر ﴾ رأيت عطيطا المغني يضرب جواريه على انه ليس لهن من يعشقهن فقلت له ويحك أما تتقي الله أي ذنب لهن في هذا ما أهون عليك قال اذا أردت أن أشتري كسوتهن من أين قات تكسوهن لانك مولاهن فقال وما لهن الزواني الا يجعلن كسوتهن عليهن فقلت انكن سمعتن ما قال قلن نعم والله وتجعل له أولادا قال فتنفس وقال يقولون ما لا يفعلون ﴿ وقال الزبير بن بكار ﴾ خرج أبو السائب المخزومي وعبد الله بن جندب الى موضع يتنزهان فيه فلقيهما ابن المولى الشاعر فصاح به ابن جندب فقال ماشاً نك وأنشد

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة * لباكي ولا ليلى لذي الود تبذل
وأخضع للعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

وقد زعمت أنى سلوت وانني * تباقى عن اتيانكم سامتعاسـل

قال ابن جندب من ليلى هذه امرأة طالق ان لم أفدها قال هي والله يا أخي قرمي سميتها الليلى ﴿قال الزبير بن بكار﴾ قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أحن اذا رأيت جمال سعدى * وأبكي ان سمعت لها حنينا

وقد أزف المسير فقل لسعدى * فديتك اخبرى ما تأمرينا

قال فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الحيان من أرض غطفان ثم أتى خيمة سعدى فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها ما تأمرين به قالت آمره بتقوى الله ﴿أبو غسان المهدى﴾ قال مر أبو بكر الصديق رضى الله عنه في خلافته بطريق من طرق المدينة فاذا جارية تطحن وتنشد

وعشقته من قبل قطع تمائمى * متمايسا مثل القضيب الناعم

وكأن نور البدر سنة وجهه * ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم

فدق عليها الباب فخرجت اليه فقال ويلك أحرة أم مملوكة قالت مملوكة يا خليفة رسول الله قال فمن هو قال فبكت ثم قالت يا خليفة رسول الله بحق القبر الا انصرفت عني قال وحقه لا أريم مكاني أو تعلميني فقالت

وأنا التي لعب الغرام بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم

قال فسار الى المسجد و بعث الى مولاها فاشتراها منه و بعث الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه وقال هؤلاء فتن الرجال فكم مات بهن كريم وعطب عليهن سليم ﴿وكان﴾ فتى من أهل الكوفة عاشقا لجارية وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورصدوه فلم يقدر على الوصول اليها فواعدها في ليلة مظلمة أن تسير اليه وأتى فتسور عليها حائطا فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وقالوا انه لص تسور علينا من الحائط فسأله خالد عن ذلك فكره ان يجحد السرقة فيفضح الجارية فقال له أسارق أنت قال نعم أصلح الله الامير فأمر بقطع عينه

وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الابيات

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يجن عمدا لانه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لألفيت فى أمر الهوى غير ناطق
اذا مدت الغايات فى السبق للعلى * فأنت ابن عبد الله أول سابق

ثم حذف الرقعة فوقعت فى حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى الى السجن وصرف القوم فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرفه فبعث الى أبى الجارية فقال قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه قال خوف العار قال لا عار عليك فى ذلك والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره فسأله أن يزوجه ففعل فدفع اليه عن الفتى خمسة آلاف درهم وأمره بتعجيل اهدائها اليه ﴿وسأل رجل بعض العلماء﴾ عن الواصلة فقال انك انفر قال قالت عائشة رضى الله عنها ليست الواصلة التى تعنون لانهم كانوا يقولون الواصلة ان تكون المرأة بغيا فى شبيبتها فاذا شابت وصلته بالقيادة (وكانت كلفة) التى يضرب بها المثل فى القيادة صبية فى الكتاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت زنت فلما شابت قادت فلما أقعدت اشترت تيسا وكانت تنزيه بين يديها ﴿وذكر المدائنى﴾ ان بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيحبسها فيأتى من يشفع فيها فيخرجها فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال لا يتكلم فيها الا زان فكان اذا كلمه فيها أحد قال اخرجوا قصتها حتى اذا قرئت قام الرجل مستحيا ﴿وحكى يقطان بن عبد الاعلى﴾ قال رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية و يقول ما جئتينى بهدية ما جئتينى بخلعة قط هل هو الا هذا الكرى فهبك لم تقدرين على شئ ما تقدرين على ولد فقالت هذه المرة أجيئك بابن فقال يا زانية ان لم تصدقى لاضربنك ألف سوط فرأيتها بعد ذلك ولها ابن مصرك تخدمه فقلت لها

وقد وفيت لمولاك قالت نعم ولكني كم نا كني رجل حتى جاءني هذا الولد فقال مولاها صدقت فهل ينبت الحب الان بزرع فعجبت من كشفته المولى وطيب نفس الجارية وهذا الباب أعزك الله أكثر من ان يحاط به ولكني اختصرت لك من ملح أحاديثهم ما فيه مستمتع وستقف من الاخر التي أفردناها من أخبار القيان على كثير منه وقد قالت الشعراء في الرسل في الجاهلية والاسلام من ذلك قول حميد بن ثور الهلالي

خليلي اني مشتك ما أصابني * لتستيقنا ما قد لقيت وتعلما
أمنتكما ان الامانة من يخن * بها يحتمل يوما من الله مأثما
فلا تفشيا سري ولا تخذلا أخا * أبثكما منه الحديث المكتما
لتتخذا لي بارك الله فيكما * الى أهل ليلى العامرية سلما
فان كان ليلا فالوناه هديتما * وان خفتما ان تعرفا فتلثما
وقولا نوجنا تاجرين فأبطأت * ركاب تركناها بتثليث قيما
فان أنتما الطمأنتما وأمنتما * وأخليتما ما شئتما فتكلما
وقولا لها ما تأمرين بصاحب * لنا قد تركت القلب منه متيما
أبيني لنا أثار حلنا مطينا * اليك وما رجوك الا توهما
الا هل صدا أم الوليد مكلم * صداي اذا ما كنت رمسا وأعظما

﴿وقال المأمون لرسول بعث به﴾

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقربا * فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفا في محاسن وجهها * ومتعت باستمتاع نغمتها الاذنا
أرى اثرا منها بعينيك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا
فياليتني كنت الرسول فأشتفي * وكنت الذي يعصى وكنت الذي أدنى

﴿وقال أبو الطيب المتنبي في مثل ذلك﴾

مالنا كلنا جوى يا رسول * أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما عاد من بعثت اليها * غارمني وخان فيما يقول

أفسدت بيننا الامانات عينا * هاوخانت قلوبهن العقول
واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل قلب دليل

﴿وقال بعض المحدثين﴾

ياسوء منقلب الرسو * ل مخبرا بخلاف ظني
اني أعيذك أن تكو * ن شغلتني وشغلت عني

﴿وأنشد لابي نواس﴾

يامن أتى من دون حاجته * باب وأحراس به وكلوا
ثم ثيابك قد شغلت بما * لوعم خلق الله لاشتغلوا
وانظر رسولا ذا ملاطفة * لولا مرارة غيبه عسل
من عليه غباوة وترى * أفعاله كالنار تشتعل
لا يعقلون به اذا خرجوا * من الابتذال ولا اذا دخلوا

﴿وأنشد أحمد بن عيسى الاهوازي في قوادة﴾

تكاد لولم تكن انسية * تجرى من الانسان مجرى الدم
لايعصم المقدار من كيدها * محله في الموضع الاعظم

﴿وأنشد لآخر أيضا﴾

اذا أردت ان تناجي غاده * من الغواني صعبة المقاده
فادسس لها عجيزا قواده * أدب في الظلماء من جراده
قد انحنت من شدة العباده * تلوح في جبينها السجاده
كالحسن البصري أوقتاده * في يدها سجتها الصياده
قد أحكمت من شدة المراده * قد ألفت غرائب القياده
فانها تدخل كالمرتاده * بذكر كل غافل معاده
وتصف الشقاء والسعاده * حتى اذا نصبت لها الوساده
ولاحظت بعقله وقاده * ثم خلت بالغادة المراده
تروضها بالنعم المقاده * حتى ترى طاعتها سعاده

﴿وقال أحمد بن أبي طاهر﴾

فارسلتها

فأرسلتها أمضى من السيف مقدما * وأسرع من سيل بليل اذا احتفل
تدب دبيب النمل فى كل مفصل * لطافتها فى الرأى والقول والحيل
يذل لها الصعب الجموح قيادة * وتهدى الى طرق الضلال فلا تضل
يرى الفطن الداهى عليها عبادة * اذا ما رآها وهى أختل من ختل
يؤلف بين الاسد والشاء لطفها * ويستنزل العصماء من شعف القلل
ولو انها شاءت بأهون سعيها * لالفت الذئب الازل مع الجمل
ولو جبل رامت ازالة ركنه * برقيتها وما زال بها الجبل
تغر العيون زهدها وخشوعها * وتسبيحها عند الشروق وفى الاصل
تسهل ما قد كان وعرا طريقه * وتفتح ما قد كان غلقا وما قفل

﴿وأنشد لابن بشير﴾

وزوله فى الذى رامت يتاح لها * من التجارب أسباب المقادير
لا تعجز الخود منها ان تدب لها * مشيد محكم البنيان والسور
كأن فى قلب من يصغى لمنطقها * من حر ما نعتت لسب الزنابير
أخفى من الروح فى تأليف معصية * اذا تأملت من لطف وتقدير
قد ناطت الدهر مصباحا بمعصمها * تشبهها بذوات البر والخير
خلت بواضحة الخدين مخطفة * كغصن بان رشيق القد ممطور
باتت تعلمها فى طول ليلتها * تقارب الخطو فى ميل وباطير
رفقا وتقليب عين عند كل فتى * يرنو بقلبها أنفاس مبهور
ما زلت أسألها حظا وترفع لى * فى السوم حتى أجابت بعد تعسير
ابذل أصغر دهرا كنت أدخره * أزهو برؤيته زهو المياسير

﴿وأنشد لاسحق بن خلف البصرى﴾

لو ان رقيتها فى صخرة نطقت * أو اذن خرساء أضحت غير خرساء
أخفى من الروح اذ دبت لحاجتها * ولو تشاء مشت رفقا على الماء

﴿وأنشد الجاز﴾

ظلم الماس حسينا * ورموه بالكبائر

ماله عيب سوى أصـ ـلاحه بين العشائر

﴿وأنشد لعبد بن وهب﴾

قالوا ابن عمة قواد فقلت لهم * كذبتم ما أبو حفص بقواد
لكنه رجل يخليك منزله * بالدرهمين وما يبقى من الزاد

﴿وأنشد ابن الأعرابي﴾

هل من رسول لطيف * الى غـــزال عفيـف
له سريرة ذئب * وسمت قس عفيـــف
تكامل الظرف فيه * ففـاق كل ظـــريف

﴿ومن مليح ما قيل في هذا المعنى قول ابن الدمينة﴾

خليلي سيرا مسعدين فسلما * على حاضر الماء الذي تردان
ومرا فقولا نحن نطلب حاجة * ومرا فقولا نحن منصرفان

﴿باب خلق النساء﴾

اذا كانت المرأة ضخمة في تعمد وعلى اعتدال فهي ربحلة فاذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي سبحلة فاذا كانت طويلة قيل جارية سبطة وعيطبول فاذا كانت بها مسحة من جمال فهي جميلة ووضيئة فاذا أشبه بعضها في الحسن بعضا فهي حسانة فاذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية فاذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوبا حسنا ولا قلادة فاخرة فهي معطال فاذا كان حسنها ثابتا كأنها وسمت به فهي وسيمة فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة ﴿وقالوا﴾ الصباحة في الوجه الوضاءة في البشرة الجمال في الأنف الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال الحسن في الشعر والمرأة الرعبوبة البيضاء والزهراء التي يضرب بياضها الى صفرة كلون القمر والبدر والهجان الحسنة البياض والمرأة طفلة ما دامت صغيرة ثم وليدة اذا تحركت ثم كاعب اذا كعب ثديها ثم ناهد اذا زاد ثم معصر اذا أدركت ثم خود اذا

توسطت

توسطت الشباب والزجاء الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما
خطا بقلم والبلج ان يكون بينهما فرجة وهو يستحب ويكره القرن وهو
اتصالهما والدعج ان تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة والبرج
شدة سوادها وشدة بياضها النجل سعتهما الكحل سواد جفونهما
من غير كحل الحور اتساع سوادهما الشنب رقة الاسنان واستواؤها
وحسنهما الرتل حسن تنضيدها واتساقها التفليج تفرج ما بينهما
الشتت تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن يقال منه ثغر شتيت
الاشر تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحداثة الظلم الماء الذى
يجرى على الاسنان من البريق الجيد طول العنق التلع اشرافها
واذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهى خود فاذا كانت جميلة الوجه
حسنة المعرى فهى بهكنة فاذا كانت دقيقة المحاسن فهى مملودة
فاذا كانت حسنة القد لينة العصب فهى خرعبة واذا كانت لم يركب
بعض لحمها بعضا فهى مبتلة فاذا كانت لطيفة البطن فهى هيفاء
وخمصانة فاذا كانت لطيفة الكشحين فهى هضيم فاذا كانت لطيفة
الخصر مع امتداد القامة فهى ممشوقة فاذا كانت طويلة العنق
في اعتدال وحسن فهى عطبول فاذا كانت عظيمة العجيزة فهى رداح
فاذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهى خدلجة فاذا كانت
سمينة ترتج من سمنها فهى مرمادة فاذا كانت ترعد من الرطوبة
والغضاضة فهى برهرهة فاذا كانت كأن الماء يجرى في وجهها فهى
رقراقة فاذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهى بضة فاذا عرفت
في وجهها نضرة النعيم فهى نضرة فاذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها
فهى اناة وهنانة فاذا كانت طيبة الريح فهى بهنانة فاذا كانت
عظيمة الخلق مع الجمال فهى عرهرة فاذا كانت ناعمة جميلة فهى
عبقرة فاذا كانت متثنية للين وتعمد فهى غيداء وغادة فاذا كانت
طيبة الفم فهى رشوف فاذا كانت طيبة ريح اليد فهى انوف فاذا

كانت طيبة الخلوة فهي رصوف فاذا كانت لعوبا ضحوكا فهي شموع
فاذا كانت تامة الشعر فهي فرعاء فاذا لم يكن لمرفقها حجم من سمنها
فهي درماء فاذا ضاق ما تلتقي فخذيها الكثيرة لحمها فهي لفاء فاذا كانت
حيية فهي خفرة وخريدة فاذا كانت مخفضة الصوت فهي رخيمة
فاذا كانت محببة لزوجها متحببة اليه فهي عروب فاذا كانت نفورا
من الريبة فهي نوار فاذا كانت تجتنب الاقذار فهي قذور فاذا كانت
عفيفة فهي حصان واذا كانت عاملة الكفين فهي صناع فاذا كانت
كثيرة الولد فهي نثور فاذا كانت قليلة الولادة فهي نزور فاذا كانت
تلد الذكور فهي مذكار فاذا كانت تلد الاناث فهي مئناث
فاذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى فهي مهاب فاذا كانت لا يعيش لها
ولد فهي مقلات فاذا كانت تلد النجباء فهي منجاب فاذا كانت تلد
الحمقاء فهي محمقة فاذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهي ربوخ
والمكورة المطوية الخلق والدنة اللينة الناعمة والمقصدة التي لا يراها
أحد الا أعجبته والخبرنجة الجارية الحسنة الخلق في استواء والمسبطرة
الجسيمة والعجزاء العظيمة العجيزة والرعبوبة الرطبة والرجراجة
الدقيقة الجلد والربحلة الكثيرة اللحم والطفلة الناعمة والرود
المتثنية اللينة والاملود الناعمة ومثلها الخرع مأخوذ من نبت
الخروع وهو نبت لين والبراقة البيضاء الثغر والدهمثة السهلة والعاتق
التي لم تتزوج والبلهاء الكريمة والمغفلة عن الشر الغريرة والعيطموس
الفطنة الحسناء والسهلبة الخفيفة اللحم والمجدولة المشوقة والسرعوفة
الناعمة الطويلة والقيصاء والعفاء الطويلة العنق والتهنانة أيضا
الضاحكة المتهللة والغيلم الحسناء والخليق الحسنة الخلق وقال الفراء
هي أحسن الناس حيث نظر ناظر أي هي أحسن الناس وجها وقال
أبو عمرو يقال للمرأة اذا كانت حسناء كأنها فرس شرها والشرهاء
الحديدة النفس وامرأة حسنة المعارف ومعارفها وجوهها والتحرية

الحسنة المشية في خيلاء والشموس التي لا تطمع الرجال في نفسها وهي الذعور وامرأة ظمياء اذا كانت سمراء أو شفة ظمياء كذلك ويقال انها الحسنة العطل أي الجسم ويقال غبقة أي التي يشاكلها كل الناس (وذكر) اختلافات الناس في الثدي والعجز والمجدولة من النساء والضخمة الطويلة والخضيضة واختلاف شهواتهم في الممسوحة والمفلكة والكاعب والناهد والمنكسرة ومن استحسن الثدي الضخم الذي يملأ الكفين ومن ذم ذلك وممن وصف الشحم عبد بني الحسحاس حيث يقول

توسدني كفا وترفع معصما * علي وتحنو رجلها من ورائيا
أميل بها ميل النزيف وأتقي * بها القطر والشفان من عن شماليا

فمعصم لم يتخذ هاهنا فاتستر عنه الريح والقطر الا وهي في غاية الضخم (وقال أبو عبيدة) دخل مالك الاشتر على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صبيحة بنائه على بعض نسائه فقال كيف وجد أمير المؤمنين أهله قال كالخير من امرأة لولا انها خذاء قباء قال وهل يريد الرجال من النساء الا ذلك يا أمير المؤمنين قال كلا حتى تدفئ الضجيع وتروي الرضيع فهذا يدل على العجب بالضخم والشحم وأكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الامر يقدمون المجدولة فهي تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة مع جودة القد وحسن الخرط ولا بد ان تكون كاسية العظام وانما يريدون بقولهم مجدولة جدولة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سليمة من الزوائد والفضول لذلك قالوا خمصانة وسيفانة وكأنها جدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران والتثني في مشية المرأة أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة ووصفوا المجدولة فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب وقال بعض الاعراب

لها قسمة من خوط بان ومن نقى * ومن رشا الغزلان جيد ٢ ومذرف
يكاد كليل الطرف يكلم خدها * اذا ما بدت من خدرها حين تطرف

٢ قوله ومذرف يعني به العين اه من هامش

﴿وقال آخر﴾

ومجدولة جدل العنان اذا مشت * تنوء بخصريها ثقال الروادف

﴿وقال آخر﴾

ومجدولة اما مجال وشاحها * فغصن وأما ردفها فكثيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب

﴿وقال أبو نواس وقد أحسن ماشاء﴾

أسلت من قلبي هواك محلة * ماحلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي في مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

﴿وأما قول الاعشى حيث يقول﴾

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لاريث ولا عجل

فقد وصفها كما ترى بالضخم ولكنه يذكر افراطا وقال الاحوص

من المدمجات اللحم جدلا كأنها * عنان صناع انعمت ان تجودا

(قال أبو عثمان الجاحظ) كان أبو معمر بن هلال يقول عذرت الرجل الطويل الاير حتى يتمناها ضخمة ولكن ماعذر الصغير الاير في ذلك وفي اختلافهم في الثدي أنشد المرار بن سعد

ضلبة الخد طويل جيدها * ضخمة الثدي ولما ينكسر

﴿وقال النابغة في النهود﴾

يخططن بالعيدان في كل مقعد * ويخبأن رمان الثدي النواهد

﴿وقال آخر أيضا﴾

وثديين كالرمانتين تجنه * غداها السري فهي ذات ثمار

﴿وأنشد لمسلم بن الوليد﴾

فاقسمت أنسى الداعيات الى الصبى * وقد فاجأتها العين والستر واقع
فغطت بايديها ثمار صدورها * كايدي الاسارى أثقلتها الجوامع

وذم أعرابي امرأة فقال والله ما بطنها بوالد ولا شعرها بوارد ولا ثديها بناهد ولا فوها ببارد وكتب الحجاج بن يوسف الى الحكم بن أيوب قال اخطب على عبد الملك امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها أمة لبعلها فكتب اليه أصبتها وهي خولة بنت مسمع لولا عظم ثديها فكتب اليه الحجاج لا يحسن بدن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفئ الضجيع وتروي الرضيع

﴿وقال آخر يذم عظم الثدي﴾

لعمري لبيض يحتلن بقفرة * لطائف ثدي الصدر غيد السوالف
أحب الينا من ضخام بطونها * لآباطها تحت الثدي تعاطف

وقال آخر في الممسوحة التي لم يبد بصدرها شيء

وعلقت ليلى وهي بكر خريدة * ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

﴿وقال نصيب﴾

ولولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشو الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار
اذا ما الزل ضاعفن الحشايا * كفاها ان يلاث بها الازار

﴿وقال ذو الرمة﴾

بعيدات مهوى كل قرط عقدنه * لطاف الحشا تحت الثدي القوالك

﴿وذكر آخر ابتداء النهود فقال﴾

نظرت اليها نظرة وهي عاتق * على حين شبت واستبان نهودها

وليس في الحيوان شيء واسع الصدر غير الانسان ولا في جميع الحيوان أنثى في صدرها ثدي الا المرأة والفيلة وكذلك الرجل والعرب تمدح الرجال والنساء بطول الاعناق قال الشاعر

ومن كل شيء قد قضيت لبانتي * سوى ضمهم اعجاز ثقال الروادف
وهم مرى اعنا قابين وتنثني * كالان خيطان الاراك الصفائف

﴿وقيل لابراهيم بن النظام﴾ أي مقادير الثدي أحمد قال وجدت الناس يختلفون في الشهوات وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا نواهد وقالت العرب بسار الكواعب ولم تقل بسار النواهد ولا بسار الفوالك ولم أرهم يختلفون في مدح عظيم الركب كما اختلفوا في مقادير الثدي في طول الاعناق يقول الشمردل

ويشبهون ملوكا في مهابتهم * وطول أنصبة الاعناق والامم

﴿وقال آخر﴾

طوال أنصبة الاعناق لم يجدوا * ريح الاماء اذا راحت باذفار

وهو حسن مالم يطل جدا فاذا أفرط كان عيبا كما عيب بذلك واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمي عنق نعامة وعيب بذلك جعفر بن يحيي البرمكي وكذلك قال فيه الحسن بن هانئ

ذاك الوزير الذي طالت علاوته * كانه ناظر في السيف بالطول

وقد زعموا انه أول من اتخذ هذه الاطواق العراض فاستحسنها الناس بعده فاتخذوها وفي صفة الاعكان يقول يزيد بن معاوية

لها عكن بيض كان غضونها * اذا اشف عنها السابري قداح

﴿وقال أبو الطيب المتنبي﴾

يضمها السلك ضم المستهام بها * حتى يصير على الاعكان اعكانا

﴿وقال آخر أيضا﴾

غراء واضحة اقراب نرعبة * طوع العناق فلا بكر ولا نصف

﴿وقال النابغة الذبياني﴾

والبطن ذو عكن لطيف طيه * والنحر ينفجه بثدي مقعد

محطوطة المتنين غير مفاضة * ريا الروادف بضة المتجرد

واذا لمست لمست اجثم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشا المحصد

وانشد

وأنشد لاعرابي أيضا

لما رأت ان الرحيل قد حان * قامت تهادى في رقيق الكتان
بواضح الوجه قليل الخيلان * وعكن مثل متون الغزلان

وقال الفرزدق

اذا بطحت فوق الاثافي رفعتها * بثديين في صدر عريض وكعثب

فزعم انها اذا بطحت على وجهها لم تمس الارض بشيء من سائر جسدها الا نهود ثدييها وعظم ركبها فصارت لبدنها كالاثافي القدر قال عبد بني الحسحاس

من كل بيضاء لها كعثب * مثل سنام البكرة المائل

وحكى ابن مطيع الليثي الشاعر ان جارية نهود انه كانت تستلقي على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الرمان والاترج من تحت خصريها قالوا كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرة الماء على رأسها فلا يصيب فخذيها البد عجيزتها قال الشاعر

تمم الجفينة لاترى الكعوبها * حجما وليس لساقها ظنبوب
عظمت روادفها وسهل وجهها * والوالدان نجيبة ونجيب

ومن مليح ماقيل في هذا القول قول الاعرابي

أبت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسده وهجن غيورا

والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك من النساء ويستحسنونه قال ذو الرمة

ومختلق للملك أبيض قد غمر * اشم اجل العين كالقمر البدر

لما أنشد بشار بن برد قول الشاعر

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا المسوها بالاكف تلين

ضحك بشار من قوله عصا خيزرانه وقال لو زعم انها عصا زبدا وعصا ند لهجنها وكان ذلك خطأ أبعد ان جعلها عصا فهلا قال كما قلت

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك فخلف عليها بعده عبد العزيز فقال لو أن رجلا ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء لينها وقال بشار

اذا مشت نحو بيت جارتها * قالت من الرمل خلفها حقف
رتج من مرطها مؤزرها * وفوقه غصن بانة قصف

وقد قيل في الضخمة

قليلة لحم الناظرين يزينها * شباب ومخفوض من العيش بارد
أرادت انتياش الرواق فلم تقم * اليه ولكن طأطأته الولائد

وقال آخر أيضا

ضوء برق بدا لعينيك أم شبـ * ـت بذي الاثل من سلامة نار
أوقدتها بالمسك والعنبر اللد * ن فتاة يضيق عنها الازار

وأنشد أيضا

وتبدي على المتن من شعرها * عناقيد كرم تدلين سودا
ويجري السواك على بارد * لذيذ من الدر يبدي نضيدا
وما زانها العقد لكنها * تزين بالنحر منها العقودا
كشمس الضحى بين اترابها * توافين يوما ليشهدن عيدا
فكم من قتيل بتلك العيون * وكم من قتيل تولى عميدا
فان يك عني قسا قلبها * فلم يجعل الله قلبي حديدا
أعيذك بالله ان تشمتي * بنا واشيا أو تطيعي حسودا

(وقال جران العود) وقد تزوج امرأة فلقي منها برحا وكانت حسنة الشعر فقال

الا لا يغرن امرءا نوفلية * على الرأس منها أو ترائب وضح
ولا فاحم يسقى الدهان كأنه * أساود يزهاها بعينيك أبطح

النوفلية مشط وأنشد لآخر

لا تنه قلبك ان يتوق الى الحما * ان القلوب الى سعاد تتوق

فرعاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو جثل مونق
فكأنه ليل عليها مغدف * وكأنها فيه نهار مشرق

﴿وأنشد لآخر﴾

مقدودة مالان لها مثل * فى عندها العبرات والخبل
فالشعر هامن شعرها زجل * ولعينها من عينها كحل
ان شئت قلت اذاهى انصرفت * بين الروادف والحشا فصل

﴿وأنشد لآخر وذكر طول العنق﴾

وأعجبنى منها غداة لقيتها * تبليل أردانها ومحاجر
وجيد كأملود الرخامى رعاية * بنهلة صبت عليه الغدائر

وقد وصفوا الافواه والريق والشفاه قال بعضهم

ومقبل عذب المذاق كأنه * برد تحدر من غمام ماطر
هن الدواء لدائنا وشفاؤنا * من كل داء باطن أو ظاهر

﴿وقال ذوالرمة﴾

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثاة وفى انيابها شنب

والعرب يزعمون ان أطيب الافواه أفواه الظباء كان أبصارها أطيب رائحة من سائر الاباعر ويزعمون ان ليس فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ولا فى الناس أطيب أفواها من الزنج ويزعمون ان علة ذلك كثرة الريق لان علة الخلوف جفوف الريق والخضر يحدثه الكبر وقد اعترى أشرافا من الناس (قال) سار رأبو الاسود الدؤلى عبيد الله بن زياد فلما أدنى فاه من أنف عبيد الله خمر أنفه عبيد الله فجذب أبو الاسود يده فصاها وقال انك والله لن تسود حتى تصير أسرار الشيوخ البخر فعجب الناس من جلده وحراسه والافواه الموصوفة بالنتن أفواه الاسود وأفواه الصقور (والشعوبية) وغيرهم ينهون عن السواك وقالوا انما يعترى الخلوف من يستاك والمرء من يكتحل والشمث من يدهن وزعموا ان السواك يقلقل الاسنان ويأكل ماعليها من اللحم أعنى اللثة ويذهب

العمور التي بينها او يرخيها وقال حسين بن مطير

مرتجة الارداف هيف خصورها * عذاب ثناياها عجاف قيودها

يريد انها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزيلها عن اماكنها وزعموا ان السواك يجلب ماء الوجه فيغني على الايام نضرة اللون وحمرة الوجنات كما يصنع طول رضاع الطفل في لبة المرأة وفي لون وجهها فاذا ذهب الماء المستكن في الغلاصم والافواه أعقب ذلك الافواه جفوفا فاذا جفت لعدم الريق أورثها خلوفا فقال من رد على هؤلاء قد علمنا ان من أعظم الامم التي عليها مدار الامور في العقل والعلم والرضا قد اجمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك يورث البخر لم تكن هاتان الامتان مع ما فيهما من بعد الغور وشدة الغزل بالنساء والتقرب الى قلوبهن والاستمتاع بهن ليجهل هذا القدر من العيب الفاحش فمن أحب ان يعرف افراط العرب في الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ أشعارهم وأحاديثهم الاسلامية وليقرأ كتب الهند في الباه ولو تتبعت أشعارهم في استعمال النساء السواك لطال به الكتاب

وعن عمرو بن دينار قال سمعت الحسن بن علي عليهما السلام يقول لذريح بن سنة حل لك ان فرقت بين قيس ولبنى اما اني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أبالي مشيت الى الرجل بالسيف أو فرقت بينه وبين امرأته وقال الزبير بن بكار دخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت أقسمت عليك بأي شيء وعدت كثيرا حيث يقول

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

قالت لها وعدته قبلة فطالبته سنة فلما ألح في التقاضي هجرته فضمني واياه طريق بعد حين فاستحييت منه فقلت حياك الله يا جمل ولم أحيه فقال

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحي ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لي فاجعلها * مكان يا جمل حياك يا رجل

وهو على تقاضيه الى اليوم قالت أقسمت عليك الا قضيته اياها وإثمه

في عنق ﴿أبو عبيدة﴾ قال كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم فأبى أبوها أن يزوجها منه وأجدبت البادية فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما يلقى فقال له قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم فأعطنا اياها فأنت أحب الينا قرابتك قال له أجلني شهرا فأجله ولم يكن مع الفتى الا ناقة فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان فطلب الاذن عليه فلم يؤذن له فقال اني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز فأدخل عليه من ساعته قال معك كتاب من فلان قال لا قال فرسالة فأنشأ يقول

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن * أدلى اليك بلا قربى ولا سبب
مدله عقله من حب جارية * موصوفة بكمال الحسن والادب
خطبتها اذ رأيت الناس قد لهجوا * بذكرها والهوى يدعو الى العطب
فقال لي حسب زاك ولي شرف * قالوا الدراهم خير من ذوي الحسب
انا نريد الوفاء منك أربعة * ولست أملك غير الحلس والقتب
فامنن على أمير المؤمنين بها * واجمع بها شمل هذا البائس العرب
فما وراءك بعد الله مطلب * أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب

فضحك عبد الملك وأمر له بأربعة آلاف درهم وقال هذا صداق أهلك وزاده أربعة آلاف أخرى وقال له أولم بهذه وأنفق عليها منها فقبضها ومضى فتزوج بالجارية ﴿وكان﴾ اسحق بن سليمان بن علي شابا ظريفا مغرى بالشعر فخرج ذات يوم وأبوه يلي البصرة لأبي جعفر المنصور متنزها الى ناحية البادية فلقي أعرابيا فصيحا الا أنه شاحب اللون مصفر ظاهر النحول فاستنشده فمضى عنه فقال له ما بالك فوالله انك لفصيح قال له أما ترى الجبلين قال قلت بلى قال في ظلالهما ما شغلني عن انشادك قلت وما ذاك قلت ابنة عم لي قد تيمتني وأذهلت عقلي والله انه ليأتي علي لا أدري أفي السماء أنا أم في الارض قال قلت وما يمنعك منه قال قلة ذات يدي قلت وكم مهرها قال خمسون ناقة قال قلت فنزوجونك اذا

دفعتها قال نعم قال فقالت له أنشدني ما قلت فيها فأنشدني

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله * غزالان مكحولان يرتعيان
أرعتهما صيدا فلم أستطعهما * وختلا ففاتاني وقد ختلاني

قال فقالت له يا اعرابي لقد قتلتني بقتلك فنفيت من العباس ان لم أقم بامرك فرجع الى البصرة فأخذ جماعة من أهله وما احتاج اليه وحمل معه الاعرابي وسار الى الجارية فخطبها الى الفتى فزوجه وساق اليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام ينحر فيها ثلاثين جزورا ووهب للاعرابي والجارية مثل ذلك وانصرف الى البصرة (قال نفطويه) لما فرغ المهدي من بناء قصره ركب للنظر اليه فدخله فجأة وأخرج من هنالك من الناس فبقي رجلان خفيان عن أبصار الاعوان فرأى المهدي أحدهما وهو دهش ما يعقل فقال له من أنت قال انا أنا قال ويلك قال لا أدري قال الك حاجة قال لا قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه فلما اخرج قال لبعض الغلمان اتبعه من حيث لا يعلم حتى يصل الى منزله فاسئل عن صنعته فاني اخاله حائكا فخرج الغلام فقفوه ثم أتى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جرئ ولسان طلق قال له من أنت قال له رجل من أبناء رجال دعوتك قال فما جاء بك الى ههنا قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن واتمتع بالنظر اليه وأكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول البقاء ودوام النعم وهلاك الاعداء قال له أفلك حاجة قال نعم خطبت ابنة عمي فردني أبوها وقال لا مال لك واني لها عاشق وبها وامق قال قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فاجزلت الصلة ومننت فاعظمت المنة فجعل الله باقي عمرك أكثره من ماضيه وآخر أيامك خيرا من أولها وامتعك بما به أنعم عليك وأمتع رعيتك بك فامر ان تعجل صلته ووجه بغلام آخر معه قال سل عن مهنته فاني اخاله كاتبا فرجع الرسولان جميعا فقال الرسول الاول وجدت الرجل حائكا ولم يرجع اليه قلبه ولا ثاب اليه نفسه وقال

الآخر

تزوجت الرجل كاتبا فقال المهدي أنا ابن المنصور لم يخف عني
طيبة الكاتب والحائك ﴿وقال أحمد بن أبي خيثمة﴾ أخبرتني مولاة
بنت لآل جعفر بن أبي جعفر المنصور قالت علق عيسى بن جعفر
جارية لام ولده فعتبه اباها غيرة عليه وتبعتها نفسه فدست جارية لعيسى
لها بربر الى مولاتها في ان تبيعها منه وارغبتها فباعتها منها فأخذتها
بربر بغالية وصنعتها وكانت لبربر من عيسى ليلة فوجه اليها بجامة وبقدح
غالية تضمخ به شعرها فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الجامة وضمخت
شعرها ووجهت بها اليه فلما رآها سألها عن حالها فاخبرته بالخبر وانها
آثرت هوى نفسه على هوى نفسها فأمر بذلك ودعا ببربر فأعتقها وتزوج
وامهرها ضياعا بالكوفة لها قدر فقالت بربر ان من شكر الله على
ما وهب لي من رأي أمير المؤمنين ان أجعل ما أعطاني من هذه الضياع
صدقة لله عز وجل تجري للاء بربر لي أجرها فأوقفتها على أهل بيت من
الانصار منهم ابن معاذ فلم يزل ذلك يجري عليهم ﴿وقال ابراهيم﴾ بن
المهدي حججت مع الرشيد فلما كنا بالمدينة خرجت الى العقيق أسير على
دابتي وليس معي غلام فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي
يدها دلو فلا أشربة لها فقلت يا هذه أسقيني فنظرت الي وقالت أنا
مشغولة عنك فقرعت قربوس سرجي موقعا على القربوس وغنيت
فلما سمعت ذلك مني ملأت دلوها وبادرت به الي وقالت اشرب يا عم
سربت فقلت بالله يا عم أين أهلك أهل البهم هذه القربة فقلت بين
يدي فمضت معي حتى أتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم ذعرت
فقلت لها لا بأس عليك وأخذت الماء وأمرت من وصلها فقال لي
الغلمان قد جاء رسول أمير المؤمنين مرارا فمضيت اليه فقال لي أين كنت
فأخبرته بخبر الجارية فأمر بطلبها فأتي بها فأمر بابتياعها من مولاها
وأعتقها وقال لها من تؤذينه ويؤذيك وتحبينه ويحبك قالت نعم عبد
لآل فلان فأمر بابتياعه وأعتقه ثم زوجها اياه وأمر لهما بمال (ح

الرشيد) سنة احدى عشر من خلافته فلما نزل بالكوفة بعد قفوله م
دعا اسمعيل بن صبيح فقال انى أردت الليلة ان أطوف فى محال الكو
وقبائلها فقلت أهب لذلك قلت نعم فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه ور
حمارا وركبت أنا آخر ومعى خادم ومعه خادم من خاصة خدمه فلم
نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا الى النخع فسمعنا كلاما فقال الرش
لاحد الخادمين ادن من الباب وتعرف ما هذا الكلام فتطلع
موضع فى الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنش
شعرا وتردد أبياته وتتبع كل بيت رنة وأنة وتبدى زفرة وتفيض ع
والنسوان اللواتى معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها ه
الابيات

هل أرى وجه حبيب شفنى * بعد فقدانيه افراط الجزع
قدبرى شوقى اليه أعظمى * وبلى قلبى هواه وفسرع
ليت دهرا مر والقلب به * جذل والعيش حلو قد رجع
وعفت آثاره منه فيا * ليت شعرى ما به الدهر صنع
قد تمسكت على وجدى به * بجميل الصبر لو كان نفع

فقال للخادمين اعرفا الموضع الى غد ورجعنا الى البصرة فلما طلع الف
وفرغ من صلاته وتسبيحه قال للخادمين امضيا الى الدار فان كان ف
رجل من وجوه الحى فجيآ به حتى أسئله عما أريده فسار الخادم
الى الدار فلم يجدا فيها رجلا فدخلا الى مسجد الحى فقالا لا هله أ
المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أحببت ان يجيئنى منكم أرب
لاسئلهم عن أمر قالوا سمعا وطاعة وقاموا معهما فدخلوا على الرش
فقربهم وأدناهم وقال لهم انى طفت البارحة فى بلدكم عناية م
بأموركم وتفقد الاحوالكم فسمعت فى دار من دياركم امرأة تنش
شعرا وتبكى وقد خفت أن تكون مغيبة وان نزاع النفس أهون م
نزاع الشوق وقطع الاوصال أهون من قطع الوصال وقد أحبب

.. رف خبرها منكم وآخذ حقيقة أمرها عنكم قالوا يا أمير المؤمنين
.. ه امرأة يقال لها البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوجها ابن
لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم فهلك أبواهما
قبل أن يجتمعا فاكتنب زوجها مع عاملك الى اليمن لقلة ذات يده
منذ خمس سنين فحزنت عليه وطال شوقها اليه وقد قالت فيه
.. ا وتستريح الى ذكره فأمر الرشيد من ساعته
كتب ... ه باليمن في حمل سليمان بن همام على البريد الى حضرته
.. دينة السلام بغداد فما مضت أيام بعد وصول الرشيد حتى دخل
.. اسمعيل بن صبيح فقال يا أمير المؤمنين قد ورد كتاب صاحب اليمن
.. البريد مع الفتى الذي أمرت بحمله اليك قال فأمر بحمله وادخاله
.. فنظر الى رجل معتدل القامة ظاهر الوسامة ذرب اللسان
.. ن البيان فقال أنت سليمان بن همام قال نعم يا أمير المؤمنين قال له
.. ص على خبرك فقص عليه خبره فوجده موافقا لما اخبره به الاربعة
النفر فأمر له بعشرة آلاف درهم يولم بها وعشرة آلاف
أخرى يدخرها فأخذ جميع ذلك من يومه ورحل الى
الكوفة فدخل باهله وكان الرشيد يتعاهده
بصلته وبره * تم كتاب النساء بعون
الله واحسانه والحمد لله وحده
والصلاة والسلام
على محمد نبيه
وآله وسلم
آمين
م

ن أسنى ما حليت به صدور الطروس حمد من خلق الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها لتسكن إليها النفوس والصلاة والسلام على من أحبه الله واجتباه وأنزل عليه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وعلى آله وصحبه الباذلين نفوسهم في حبه ﴿أما بعد﴾ فقد تم طبع كتاب أخبار النساء المشتمل على نوادر الأحباء ولطائف الأدباء وناهيك به من روض أدب حقيق أن تشد إليه الظرفاء من كل حدب وأن تسرح فيه الأنظار لما أحرزه من شوارد النوادر وبدائع الأخبار جدير أن يتخذ نديم مسامره وجليس مؤانسة ومحاضره فكم أبرز من فكاهات ونظم عقود وقائع مستحسنات بأسلوب يسلب الهموم ويزيل عن القلوب الغموم وكان طبعه الفائق ووضعه الرونق الشائق بمطبعة من راق طبعه وصفا حضرة محمد أفندي مصطفى لا زالت مطبعته المعمورة بيانع المنظوم والمنثور

وأشرق بدر التمام وتضوع مسك الختام في

أواخر شهر رمضان الكريم سنة ١٣٠٧ من

هجرة المصطفى عليه الصلاة

والتسليم وعلى تابعيه ما حن

محب إلى محبوب

وما هبت شمال

أو جنوب

(تنبيه)

ما في طرة هذا الكتاب من أنه المعروف بابن قيم الجوزية هو سهو وخطأ والصواب أنه المعروف بابن قيم الجوزية وأما ما في الكتاب من الغلط الواقع في الطبع فقليل لا يشكل على الفطن ولذلك لم نتكلف تصويبه